

يجدونك مكنوناً عندهم

יִמְצְאוּהוּ כְּתוּב אִתָּם

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في أسفار أهل الكتاب

فيصل بن علي الكاملي

يُجدونه مكتوباً عندهم

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في أسفار أهل الكتاب

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى



مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كاملي، فيصل علي

يجلدونه مكتوباً عندهم. / فيصل علي كاملي - الرياض،

١٤٣٤هـ

١٩٤ ص ٢١، ٥ / ١٤١ سم

ردمك: ٠-٢٣-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- السيرة النبوية ٢- الشهاب للحمدي أ. العنوان

١٤٣٤ / ٢٠١٢

ديوي ٢٣٩، ٦

رقم الإيلاع: ١٤٣٤ / ٢٠١٢

ردمك: ٠-٢٣-٨١٠١-٦٠٣-٩٧٨

يُجَدُّونَهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ

تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في
أسفار أهل الكتاب

فيصل بن علي الكامل



مقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، الرسول النبي الأمي ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوءًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ قَالَ ذَرِكُوا أَمْثَلُ بِهِ وَعَمَرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿[الأعراف: ١٥٧].

أما بعد، فهذه رسالة وجيزة في بعض ما جاء من صفات المصطفى ﷺ في أسفار أهل الكتاب، سطرتها لتكون تذكرة للمؤمنين وتبصرة للغافلين وحجة على المعاندين. ولست في ذلك رائداً، فقد سبق إلى بيان ذلك السابقون؛ فعن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحزرا للأُميين، أنت عبدي ورُسولي، سميتك المتوكل، ليس يفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسبيّة السيئة ولكن يغفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به

الْمَلَّةَ الْمُؤْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَأَذَانًا صُمًّا
وَقُلُوبًا غُلْفًا. [صحيح البخاري].

لكنني أحسب أني بذلت وسعي في الرجوع إلى مصادر القوم؛
فبيّنت الغامض، وصححت السقيم، وأبطلت دعاوى الخصوم؛ حتى
يكون في ذلك مزيد حجة. لكنني لم أذكر كل ما وقع تحت يدي من
إشارات في أسفار أهل الكتاب لأسباب منها: قناعتي بأن بعض ما
يُظن أنه من البشارات ليس كذلك، كذكر اسم محمد ﷺ في سفر نشيد
الأنشاد؛ كما أنني حرصت على الإيجاز فلم أذكر من البشارات ما
يتطلب سرداً تاريخياً قد ينوء بالقارئ غير المختص. ولعل فيها أورده
كفاية لمن كان متجرداً للحق غير متعصب لهواه.

وقد قُسم الكتاب إلى أربعة فصول. الفصل الأول: وأوردت
فيه بعض إشارات أسفار أهل الكتاب إلى زمن ظهور نبي آخر الزمان.
الفصل الثاني: وأشارت فيه إلى الموطن الذي ذكر فيه اسم نبي آخر
الزمان صراحة في أصله العبراني. الفصل الثالث: وذكرت فيه تمجيد
قبلة النبي الخاتم في كتب القوم وأنها ستكون مثابة للناس. الفصل
الرابع: وأوردت فيه بعض تبشير أسفار أهل الكتاب بظهور أمة النبي
الخاتم على غيرها من الأمم.

ختاماً: لا أنسى من كان له بالغ الأثر في حياتي؛ والدتي التي كانت لي خير معين، فحال بيني وبينها اليقين، ولئن كانت في حياتها واعظة لي مُذكّرة، فإنها اليوم أوعظ. فإن أفتدت - أخي - شيئاً من هذه الورقات فلا تبخلنْ عليها بدعوة بظهر الغيب، فإنها هذا الجهد وصاحبه حسنة من حسناتها.

أسأل الله أن يغفر لها ويرحمها، وأن يكرم نزلها، وأن يبلغها منازل الصديقين. كما أسأله أن يجعل ما سطرته زاداً إلى حسن المصير إليه، وعتاداً إلى يمن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فيصل بن علي الكامل

popedia@windowsslive.com



الفصل الأول

نبي آخر الزمان ﷺ



مدخل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

"العلم بنبوة محمد ﷺ ونبوة المسيح ﷺ لا يتوقف على العلم بأن من قبلهما بَشَرٌ بهما، بل طرق العلم بالنبوة متعددة. فإذا عُرِفَتْ نبوته بطريق من الطرق ثَبِتَ نبوته عند من علم ذلك وإن لم يعلم أن من قبله بَشَرٌ به. لكن يقال: إذا كان الواجب أو الواقع أنه لا بد من إخبار من قبله بمجيئه وأن الإشعار بنسخ شريعة من قبله واجب أو واقع؛ صار ذلك شرطاً في النبوة، ومن علم نبوته علم أن هذا قد وقع وإن لم ينقل إليه.

فإذا قال المعارض: عدم إخبار من قبله به يقدح في نبوته، وأنه إذا قدر أنه لم يخبر به من قبله والإخبار شرط في النبوة كان ذلك قدحاً.

قيل: الجواب هنا من طريقين، أحدهما: أن يقال إذا علمت نبوته بها قام عليها من أعلام النبوة فلما أن يكون تبشير من قبله لازماً لنبوته واجباً أو واقعاً، ولما أن لا يكون لازماً. فإن لم يكن لازماً لم يجب وقوعه، وإن كان لازماً علم أنه قد وقع وإن كان ذلك لم ينقل إلينا، إذ ليس كل ما قاله الأنبياء المتقدمون علمناه ووصل إلينا، وليس كل ما أخبر به المسيح

ومن قبله من الأنبياء وصل إلينا، وهذا مما يعلم بالاضطرار.

ولو قدر أن هذا ليس في الكتب الموجودة لم يلزم أن المسيح ومن قبله لم يذكروه بل يمكن أنهم ذكروه وما نُقل، ويمكن أنه كان في كتب غير هذه، ويمكن أنه كان في نسخ غير هذه النسخ فأزيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه، وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه، فكل هذا ممكن في العادة لا يمكن الجزم بنفيه. فلو قدر أنه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب لم يقطع بأن الأنبياء لم يشرؤا به.

فإذا لم يمكن لليهود أن يقطعوا بأن المسيح لم يشر به الأنبياء ولا يمكن أهل الكتاب أن يقطعوا بأن محمداً ﷺ لم يشر به الأنبياء، لم يكن معهم علم بعدم ذلك؛ بل غاية ما يكون عند أحدهم ظنٌ لكونه طَلَب ذلك فلم يجده. ودلائل نبوة المسيح ﷺ ومحمد ﷺ قطعية يقينية لا يمكن القدح فيها بظن، فإن الظن لا يدفع اليقين، لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيها هو منقول عن الأنبياء كما في صحيح البخاري...^(١).

(١) ابن نعمة، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ)، ٥/ ١٥٣.

ومع هذا فإن الإشارات إلى اسمه ﷺ وظهور أمته على الأمم
وتحول قبلته، ما زالت موجودة فيما بين أيدي اليهود والنصارى مما
يؤمنون بصحته من كتبهم ومما يخفونه مما سيأتي بيانه، والله المستعان.



رؤيا الأسابيع

الكتابات المنحولة:

قبل الحديث عن رؤيا الأسابيع يجدر بنا التعريف بأسفار الـ «سوديبجرافا» أو «الكتابات المنحولة» التي تضم هذه الرؤيا، فهي عبارة عن مجموعة من الكتابات القديمة التي لم تجد مكانها بين الأسفار القانونية عند أهل الكتاب، ويعود تاريخ أقدمها إلى القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد، وقد نسبت إلى غير كتّابها على رأي أكثر العلماء، وهذا سبب وصفها بالمنحولة. من هذه الأسفار «سفر أخنوخ» و«رؤيا إبراهيم عليه السلام» و«عهد موسى عليه السلام».

لكن نسبة هذه الأسفار إلى غير كتّابها الأصلي لا يعيها في نظر علماء أهل الكتاب، فهذا حال أكثر الأسفار القانونية المعتبرة عندهم. يؤكد هذه الحقيقة المرجعُ المعتبرُ المعروف بـ«قاموس أنكور الكتابي» إذ يقول:

أكثر العلماء لا يهتمون لعجزهم عن تعريف الـ «سوديبجرافا» أو الكتابات المنحولة. فهم يتفقون على أن بعض الكتابات في العهدين القديم والجديد منحولة كذلك، على سبيل المثال:

مزامير داود، وأمثال سليمان، والرسائل المنسوبة خطأ إلى بولس، لا سيما رسالته إلى العبرانيين والكولوسيين والرسائل الرعوية.^(١)

فنحن عندما نستشهد بهذه الأسفار المنحولة فإننا نستشهد بوثائق وكتابات لا نقل في قيمتها العلمية أو التاريخية عن الأسفار القانونية، بل قد تفوقها أحياناً كما هو حال «سفر أخنوخ» الذي كان مرجعاً لبعض كُتاب العهد الجديد كما سيأتي. وإنما بدأت بالبشارات الموجودة في هذه الأسفار لحفائها على كثير من الباحثين، فيكون ذلك مدعاة لانتشارها، ولأنها ترسم لنا خلفية تاريخية واسعة ورائعة قبل الانتقال إلى تفاصيل البشارات الأخرى.^(٢)

سفر أخنوخ و«رؤيا الأسابيع»:

سفر أخنوخ أحد الأسفار المنحولة كما سبق، وينسب إلى أخنوخ، الذي هو إدريس عليه السلام كما يرى بعض العلماء، وهو أحد أجداد نوح عليه السلام. يعد هذا السفر من الأسفار القانونية المعترف بها في الكنيستين

(1) The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1992), vol. 5, p. 538.

(2) سبق إلى الإشارة إلى بشارات الأسفار المنحولة الدكتور هشام طلبة والدكتور نصر الله أبو طالب فوجب الاعتراف لهما بالأسبقية جزاءهما الله خيراً.

الأرثوذكسية الإثيوبية والأرثوذكسية الإريترية، ويوجد كاملاً في مخطوطته الجعزية (اللغة الإثيوبية القديمة)، مع قطع بالأرامية من مخطوطات البحر الميت، وبعض القطع باليونانية واللاتينية. لذا فإن الرأي السائد عند الكنيسة الإثيوبية أنه كتب في أصله باللغة الجعزية، بينما يرى غيرهم من العلماء أنه دُوّن بالأرامية أو بالعبرية.

نُمة إشارة إلى سفر أخنوخ في رسالة يهوذا من العهد الجديد، إذ تقول الرسالة: "وَتَبَّأَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا أَخْنُوحُ، السَّابِعُ مِنْ آدَمَ، قَائِلًا: «هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رِبَاطٍ قَدِيمٍ، لِيَضَعَّ دَيْنُونَةً عَلَى الْجَمِيعِ، وَيُعَاقِبَ جَمِيعَ فُجَّارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمْ الَّتِي فَعَرُوا بِهَا، وَعَلَى جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الصَّغْبَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا عَلَيْهِ خُطَاةُ فُجَّارٍ»".^(١) وهذا موجود بتمامه في سفر أخنوخ الأول (١: ٩)؛ بل إن الموسوعة الكتابية Encyclopedia Biblica ترى أن كتاب العهد الجديد كانوا على دراية بسفر أخنوخ وأنهم تأثروا به فكراً وأسلوباً.^(٢)

(١) يهوذا (١: ١٤، ١٥).

(2) Encyclopedia Biblica (New York: The Macmillan Company, 1899), "Apocalyptic Literature", vol. I, column 220.

يتضمن سفرُ أخنوخ رسالة تُعرف بـ «رسالة أخنوخ»، وهذه الأخيرة تتألف من خمسة أقسام، أحدها «رؤيا الأسابيع» The Apocalypse of the Weeks التي هي موضوع بحثنا. وبما أن الحديث عن رؤيا الأسابيع يتطلب بعض التفاصيل التي قد لا تهتم كثيراً من القراء غير المختصين، مع حرصي على تبسيط المراءدون القصور عن تقديم الدليل؛ فقد آثرت أن أقتبس كلاماً لأحد الأعلام في هذا الشأن يوجز ما نريد بيانه. هذا العَلم هو «حانان إيشيل» أستاذ مخطوطات البحر الميت الأسبق في جامعة «بار إيلان» بتل أبيب. يقول «إيشيل»:

«رؤيا الأسابيع» هي رؤيا تسجل تاريخ العالم بأسلوب وجيز جداً، إذ تقسمه إلى وحدات زمنية معينة تدعى «أسابيع». وكل أسبوع منها يحوي وصفاً بالإيجاب أو بالسلب. رؤيا الأسابيع محفوظة في رسالة أخنوخ التي هي واحد من المؤلفات التي يشتمل عليها أخنوخ الأول (الفصول ٩٠-١٠٥). في النسخ الإثيوبية لأخنوخ الأول، تقسم رؤيا الأسابيع إلى قسمين: ٩٣:٣-٩ وتصف سبعة أسابيع من خلق العالم إلى نهاية الأيام؛ و٩١:١٢-١٥ وتصف الأسابيع الثلاثة الأخيرة

التي يدين فيها الرب العصاة ... وعلى غرار «ر. هـ. تشارلز» فإن جمهور العلماء يفضلون نقل الأسابيع الثلاثة الأخيرة إلى نهاية رؤيا الأسابيع. يؤيد هذا ما وُجد في النسخة الآرامية لسفر أخنوخ الأول من لفائف قُمران، حيث تأتي الأسابيع الثلاثة عقب رؤيا الأسابيع السبعة. فإجماع العلماء إذن على أن المرء بحاجة إلى أن يميز بين رؤيا الأسابيع السبعة التي تصف أزمنة تاريخية حقيقية، وبين الأسابيع الثلاثة الأخيرة التي تتناول ما وراء التاريخ meta-history.⁽¹⁾

وعليه، فلن أخرق هذا الإجماع بين علماء أهل الكتاب، وسأرتب النص كما أرادوا. ولكن قبل الشروع في ذلك ينبغي أن نحدد التاريخ الذي كتبت فيه هذه الرؤيا فإنها لو لم تكن قد سطرت قبل بعثة المصطفى ﷺ ما كانت حجة في بابها، إذ سيرد عليها احتمال أن تكون مما دَوَّنه المسلمون ونسبوه إلى غابر الأزمان، كما قيل عن «إنجيل برنابا» الشهير.

(1) Hanan Eshel, "Dibre Hame'orot and the Apocalypse of Weeks" in Things Revealed, ed. Esther G. Chazon, et al. (Leiden: Brill, 2004), p. 149.

لكن اليهودي «إشيل» قد كفانا المؤونة بقوله: "ومن المتفق عليه [عند العلماء] كذلك أن «رؤيا الأساييع» أقدم رؤيا تاريخية يهودية باقية، وأنه ينبغي أن تؤرّخ بمتصف القرن الثاني قبل الميلاد.^(١) أي قبل بعثة خاتم النبيين ﷺ بأكثر من سبعمائة عام. وهناك من أعاد تاريخ كتابتها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، كـ «جيمس تشارلزورث» محرر أشهر طبعة للأسفار المنحولة.^(٢) بل ذهب الأب «ترتوليان» (١٦٠-٢٢٥م) - وهو من أكابر علمائهم والملقب بـ "أبي النصرانية اللاتينية"^(٣) - إلى أن سفر أخنوخ كُتب أخنوخ نفسه (إدريس عليه السلام) بوحي من الرب، أي قبل زمان نوح عليه السلام، وأفرد «ترتوليان» لذلك فصلاً أسماه «حول أصالة نبوءة أخنوخ».^(٤) وأياً كان الأمر فإننا سنُسَلِّمُ جدلاً لإجماع العلماء المعاصرين على أنه كُتِبَ في منتصف القرن

(1) Hanan Eshel, p. 150.

(2) David N. Freedman, ed. The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1996), vol. V, p. 539.

(3) Marcus Aurelius, The Apology of Tertullian, trans. William Reeve & Jeremy Collier (Griffith Farran & co., 1894), p. vii.

(4) Rev. Alexander Roberts. The Ante-Nicene Fathers: the Writings of the Fathers Down to A.d. 325 (Cosimo, Inc., 2007), vol. IV, p. 15.

الثاني قبل الميلاد فهو كافٍ لإثبات قدم البشارة التي نحن بصدددها.

بقيت الإشارة إلى أمر مهم، وهو أن الرؤيا تقسّم تاريخ العالم إلى عشرة أسابيع؛ وليس ثمة ما يحدد مدة هذه الأسابيع صراحة، ولذا وقع فيها الخلاف بين علماء أهل الكتاب على أقوال منها الغث ومنها السمين. يقول «روجر بيكويث» في كتابه «التقويم والتسلسل الزمني»:

من الملاحظ أن حدثاً واحداً مهماً على الأقل يحدث في كل أسبوع من هذه الأسابيع، ولكن في أربعة منها (السادس والسابع والثامن والعاشر) تجري عدة أحداث مهمة؛ وكذا في سبعة من الأسابيع (الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والعاشر) يحصل حدث مهم في "متنها" أو في "الجزء السابع"، ولا يقع هذا في الثلاثة الأخر. وهذا يدل على أن الأسابيع لا تتبع طولاً غير محدد أو عشوائياً، كما يفترض أحياناً^(١)، ولا لتوقع المرء أن يكون هناك حدث مهم واحد في كل أسبوع، وأن ينتهي الأسبوع بحدوث الحدث

(١) الكاتب هنا يرد على أمثال «ج. ت. ميليك» J. T. Milik ممن زعموا أن هذه الأسابيع تدل على حقب من التاريخ لا يطرّد فيها طول الوحدات الزمنية المستعملة (الأسابيع).

دائماً، وليس أحياناً. هذه النتيجة تؤيدها الأدلة التي تم بحثها [فيما سلف من كتابه] والتي تبرهن على أن الإسمين تحمروا الدقة في قياس الزمن وانتظروا أحداثاً مهمة تحصل في فترات منتظمة يتم حسابها بضرب العددين المقدسين ٧ و ١٠ ببعضهما أو بنفسيهما. والكلمة "أسبوع" نفسها تتضمن العدد ٧، ولكن السؤال هو: سبعة ماذا؟ فالأسابيع هنا ليست أسابيع من الأيام أو الأعوام، فهذا زمن قصير جداً، فمم تألف هذه الأسابيع إذن؟^(١).

ثم يعرض «بيكويث» الرأيين السائدين في هذه المسألة فيقول: "الرأيان الحقيقيان بالنظر هما: [الأول] أن ١٠ أسابيع تعني أسابيع من الأجيال، و[الأخر] أنها أسابيع من القرون. لكن الاقتراح الأخير كما سنرى له حظ من المصادقية، بينما يبدو الأول ناتجاً عن سوء فهم مُطبق."^(٢)

(1) Roger Beckwith. Calendar and Chronology (Boston: Brill Academic Publishers, 2001), p. 244.

(2) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 244.

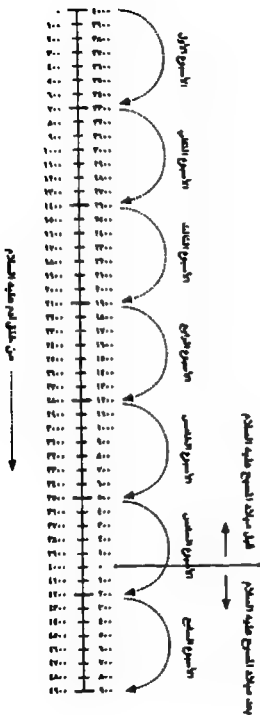
يؤيد هذا ما ذهب إليه «رتشارد لورنس» في تعليقه على الأسبوع الأول من الرؤيا بقوله: "من الواضح في نمط الحساب المتبنى هنا أن اليوم يقوم مقام مائة عام. وبناء عليه يكون الأسبوع تعبيراً عن سبعمائة عام."⁽¹⁾

فنحن إذن أمام نص للعقد فيه دلالة واضحة كما يرى «بيكويث» ويؤيده «لورنس»، وأسابيعه يتألف الواحد منها من سبعة قرون. أي أن كل أسبوع من الأسابيع السبعة الأولى التي تعيننا في هذه الرؤيا، يعدل ٧٠٠ عام. وهذا المنهج الذي اقترحه «بيكويث» هو الذي سأسير عليه هنا مع بيان أخطاء علماء أهل الكتاب في تحليلهم للرؤيا.

وقد جعلتُ بداية خلق آدم ~~فقط~~ قبل الميلاد بأربعة آلاف عام تقريباً، معولاً على التوراة العبرانية التي هي عمدتهم، ولا يزال هذا التقدير هو الشائع عند من يقول بعصمة الكتاب المقدس؛ ومن مشاهير من قالوا به العالم الإيرلندي الشهير «جيمس أشر» الذي اعتمده في تقويمه المعروف بـ «تقويم أشر» Ussher Chronology، والحاخام «يوسي بن حلفتا»، والقديس «بيد» الملقب بالمبجل، والسير «إسحاق نيوتن»، مع اختلاف يسير بينهم. وإنما اعتمدت هذا التقدير من باب إلزام المعارض فهو حجة عليه لا علي.

(1) Richrard Laurence. The Book of Enoch, the Prophet (Oxford: 1838), p. 242.

الخط الزمني لرؤيا الأسابيع



وقد آثرت أن أترجم نص الرؤيا عن الإنجليزية بنفسى معتمداً
النسخة المحققة التي نشرها «تشارلز» في كتابه «سفر أخنوخ»^(١)، لِمَا
رأيت من عدم الدقة أحياناً في الترجمات العربية المتاحة. وسأورد
النص أولاً ثم أعلق عليه.

رسالة أخنوخ، رؤيا الأسابيع، الإصحاح ٩٣:

١. ثم طفق أخنوخ يروي من الكتب.

٢. فقال أخنوخ: عن بني البر، وعن صفوة الخلق، وغراس
الاستقامة - عن هؤلاء أحدثكم وأبلغكم - أنا أخنوخ - أي بني،
كما ظهر لي في الرؤيا السماوية، وعلمت من كلام الملائكة الأطهار،
وتعلمت من ألواح السماء.

٣. فطفق أخنوخ يروي من الكتب [قائلاً]: ولدت السابع في
الأسبوع الأول، إذ لم يزل الحكم والبر باقين.

٤. ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر؛ وفيه
تكون النهاية الأولى، وفيه يُنجى إنسان. وبعد أن ينقضي يتعاضم الإثم

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (Oxford: The Clarendon Press, 1893), p. 271.

ويصنع الرب شريعة للخطاة.

٥. وبعدئذ، في الأسبوع الثالث، في متها، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار، ووراءه يقوم أبداً غراس البر.

٦. وبعدئذ، في الأسبوع الرابع، في متها، ترى رؤى القدوس والبار، وتصنع لكل الأجيال القابلة شريعة، وحظيرة لهم.

٧. وبعدئذ، في الأسبوع الخامس، في متها، ينشئ بيت المجد والملكوت إلى الأبد.

٨. وبعدئذ، في الأسبوع السادس، كل الذين يعيشون فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم كلهم قد أسرها نسيان الحكمة الشرير؛ وفيه يصعد إنسان. وفي متها، يحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار سيشتت.

٩. وبعدئذ، في الأسبوع السابع، سيقوم جيل كافر، كثيرة أعماله، وكل أعماله كفر.

١٠. وفي متها، يصطفى المصطفون الأخيار من غراس البر الأبدية لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه.

تفسير النص:

١. ثم طفق أخنوخ يروي من الكتب.

أخنوخ هو إدريس عليه السلام، وقد أشار إلى هذا القول الإمام الطبري عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلِسَكِيمَلٍ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].^(١) وهذا القول وإن كان له حظ من النظر إلا أنه ليس له حظ من الأثر. أما حظه من النظر فمشابهة سيرة أخنوخ سيرة إدريس عليه السلام كرفعه إلى السماء وأنه أول من خط بالقلم (أو اخترع الكتابة على حد تعبير أهل الكتاب). أما من ناحية الأثر فإننا لا نملك نصاً صحيحاً صريحاً يشير إلى أن أخنوخ هو إدريس عليه السلام، وبناء عليه فلا يمكننا الجزم بطبيعة "الكتب" المشار إليها في النص. وأياً كان الأمر فإن هذه النسبة لا تعيننا كثيراً في هذه الدراسة.

٢. فقال أخنوخ: عن بني البر، وعن صفوة الخلق، وغراس الاستقامة - عن هؤلاء أحدثكم وأبلغكم - أنا أخنوخ - أي بنحي، كما ظهر لي في الرؤيا السماوية، وعلمت من كلام الملائكة الأطهار،

(١) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م)، ١٠ / ٧٩.

وتعلمت من الراح السماء.

هذا الذي يرويه لنا أخنوخ عن "صفوة الخلق" و"غراس الاستقامة" مما تلقاه - إن ثبت نبوته - من الوحي السماوي عن طريق الملك. وأما "الراح السماء" فلعلها اللوح المحفوظ. وهذا كله على افتراض صحة ما نقل إلينا، وإلا فمثله لا يثبت إلا بإسناد صحيح.

٣. فنفق أخنوخ يروي من الكتب [قائلاً]: ولدت السابع في الأسبوع الأول، إذ لم يزل الحكم والبر باقين.

هنا يبدأ الحديث عن السبعائة عام الأولى منذ خلق آدم (عليه السلام) إلى نهاية الأسبوع الأول.

قوله "ولدت السابع في الأسبوع الأول" يحتمل أن يكون المراد منه: ولدت في القرن السابع من الأسبوع الأول. وهو معنى صحيح، فأغلب علماء أهل الكتاب على أن «أخنوخ» ولد عام ٦٢٢ منذ بدء الخليقة، وهذا يجعله في القرن السابع تماماً. ويحتمل أن يكون المراد تربيته من بين الأبناء العشرة من آدم إلى نوح عليهما السلام، وهذا أيضاً صحيح؛ فالأبناء العشرة عند أهل الكتاب هم: ١. آدم ٢. شيث ٣. إنوش ٤. قينان ٥. مهلائيل ٦. يرد ٧. أخنوخ ٨. متوشلح ٩.

لامك ١٠. نوح. يؤيد هذا ما ورد في رسالة يهوذا (١: ١٤) المشار إليها أعلاه حيث جاء فيها "وَتَنبَأُ عَنْ هَؤُلَاءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ، السَّابِعُ مِنْ آدَمَ."

قوله "إذ لم يزل الحكم والبر باقين"، هذا صريح في أن البشر كانوا على الجادة إلى زمن أخنوخ، وأنهم كانوا يُحْكَمُونَ شرع الله ويعبدونه دون سواه. وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام." (١) ونوح من أحفاد أخنوخ كما يذكر علماء الأنساب.

٤. ويجل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر؛ وفيه تكون النهاية الأولى، وفيه يُنَجَّى إنسان. وبعد أن ينقضي يتعظم الإثم ويصنع الرب شريعة للخطاة.

هذا الأسبوع الثاني من رؤيا أخنوخ، ويمتد تقريباً بين ٧٠٠-١٤٠٠ منذ بدء الخلق؛ وهي الحقبة التي ظهر فيها نبي الله نوح عليه السلام وأغرق الله فيها الكافرين باعتراف علماء أهل الكتاب. فقد

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره والحاكم بإسناد على شرط البخاري كما قال الحاكم، ووافقه الذهبي.

ذكر «جون كوليتز» أن في الفقرة «إشارة إلى نوح»^(١) وقال «تشارلز» في تعليقه على هذا النص: «هذا الأسبوع يشمل الطوفان والعهد مع نوح»^(٢)، كذلك ينص «يكويث» على أن «النهاية الأولى» هي الطوفان، وأن «الإنسان» الذي ينجو هو نوح عليه السلام^(٣).

قوله «ويحل بعدي في الأسبوع الثاني شر عظيم، ويظهر المكر» يشير إلى معنى قريب من قول الله ﷻ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِأَهْلِي مِنَ الدُّنْيَا آلًا عَصَافًا وَمَا كُنَّا بِمُعَظَّمِي مَوَافٍ ۖ وَأَتَّبِعُوا مَن لَّزَّ يَزْدَهُ مَالَهُ ۖ وَلَوْلَهُ إِلَّا خَسَارًا ۝﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَنْذِرُنَا ۖ الْهَاسِكُ لَا تَنْذِرُ ۖ وَلَا سُلَاقًا وَلَا سُلَاقًا وَلَا يَنْفَعُ ۖ وَيَعُوقُ وَشَقَرًا ﴿٢٣﴾ [نوح: ٢١-٢٣].

وقد روى البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَا وَلَا سُلَاقًا وَلَا يَنْفَعُ ۖ وَيَعُوقُ وَشَقَرًا﴾ [نوح: ٢٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "... أَسْمَاءُ رَجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انصِبُوا إِلَى مَجَالِيهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوْهَا

(1) John J. Collins. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls (London: Routledge, 1997), p. 21.

(2) R. H. Charles. The Book of Enoch, p. 272.

(3) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 243.

بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَذْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلِيكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ. ^(١)

فهذا هو "الشر العظيم"؛ وأي شر أعظم من الشرك بالله وعبادة الأوثان بعد أن كان الناس على توحيد الله تبارك وتعالى؟ ومن عجب أن قرئت هذه الفقرة من رؤيا أخنوخ بين الشر العظيم وظهور المكر، كما أن الآية قرنت بين عبادة الأوثان والمكر الكبار، فعلم من الآية الكريمة أن المقصود به مكرهم في معاندة الحق، وتزينهم لقومهم عبادة الأصنام.

دعاهم نوح عليه السلام ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، فما زادهم ذلك إلا إمعاناً في البعد عن الحق، حتى إنهم جعلوا أصابعهم في آذانهم لا يريدون سماعه، فلما يش من إيمانهم توجه إلى ربه قائلاً ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَّارًا﴾ (٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿ [نوح: ٢٦-٢٧].

وهنا كانت "النهاية الأولى"، إذ أمر الله نبيه نوحاً عليه السلام ببناء الفلك، وسلط على الكافرين المعاندين طوفاناً عظيماً غمر جميع

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٦٣٦.

الأرض فلم ينج إلا نوح عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين، وهذا معنى قول أخنوخ: "وفيه يُنَجَّى إنسان". قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَنصَحْ الْمُؤْمِنُونَ ٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هَرَبًا ٧٧ ﴿٧٥﴾ [الصافات: ٧٥-٧٧]. فكل من جاء من بعد نوح عليه السلام إنما هو من ذريته.

لكن الشيطان ما زال بذرية نوح عليه السلام حتى طغى منهم قوم عاد وتعاضم شرهم، وكانوا من أول الأمم عبادةً للأصنام بعد الطوفان؛ فأرسل الله إليهم رسوله هوداً عليه السلام ليبلغهم رسالة ربه. قال تعالى في شأنهم: ﴿وَلَمَّا عَادُوا لِعِبَادَتِهِمْ قَالَ إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ بِاللَّهِ ٧٨ وَإِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ فَاعْبُدُوهُ ٧٩ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ ٨٠ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨١﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّنَكَ فِي سَفَاهَةٍ ٨٢ وَإِنَّا لَنَنظُرُكَ مِنَ الْكَذِبِ ٨٣ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٨٤ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٨٥ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ٨٦ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْعَةً ٨٧ فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٨٨﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٩].

ولعل شأن قوم عاد هؤلاء وثمود من بعدهم، هو ما أشارت إليه الفقرة بقولها: "وبعد أن ينقضي، يتعاضم الإثم ويصنع الرب

شريعة للخطاة." فبعد أن انقضى الطوفان، عادت أقوام إلى الشرك كعادٍ وثمود، فأرسل الله إليهم رسلاً فكذبوهم فأهلكهم الله. وما زال هذا دأب الأمم المعاندة إلى متهى الأسبوع الثالث.

٥. وبعده، في الأسبوع الثالث، في متهاه، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار، ووراءه يقوم أبداً غراس البر.

قوله: "في الأسبوع الثالث، في متهاه" يدل دلالة بيّنة على أن الوحدات الزمنية (الأسابيع) التي يوظفها أخنوخ في هذا النص مقصودة لذاتها وليست تعبيراً مطلقاً عن مدة طويلة فحسب. فالفقرة هنا لا تكتفي بالإشارة إلى حدث في الأسبوع الثالث، بل تحدد مكان الحدث على الخط الزمني الذي ترسمه لنا رؤيا الأسابيع. هذا الأسبوع وفقاً لخط الزمن يقع بين عامي ١٤٠٠-٢١٠٠ منذ بدء خلق آدم عليه السلام. وقبل أن نحدد زمن الحدث نتعرف على الحدث نفسه.

يقول النص: "في الأسبوع الثالث، في متهاه، يُصطفى إنسان ليكون غراس الحكم البار". بمعنى: أن الرب سيصطفى في نهاية هذه الحقبة الزمنية واحداً من البشر ليكون غرسة مباركة تؤتي أكلها إلى الأبد كما يفسره قوله "وراءه يقوم أبداً غراس البر". وفي ترجمة

«تشارلز» ١٩١٧ "وتصبح ذريته غراس البر إلى الأبد" (١) وهي أصرح. لما أغرق الله أهل الكفر في زمن نوح عليه السلام، جعل ذريته هم الباقين؛ فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح. لكن الحديث عن نوح عليه السلام قد سبق في الأسبوع الثاني ولا يستقيم أن يكون هو المراد هنا؛ فمن هو المراد يا ترى؟ يتبين لنا ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

قال ابن كثير في تفسير الآية: "يغير تعالى أنه مُدْبِعُ نوحاً، لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم، عليه السلام، خليل الرحمن، لم يُنزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده، إلا وهو من سلالة." (٢) وقال إمام المفسرين الطبري: "وكذلك كانت النبوة في ذريتهما [يعني نوحاً وإبراهيم عليهما السلام]، وعليهم أنزلت الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وسائر الكتب المعروفة." (٣)

(١) R. H. Charles. The Book of Enoch (Forgotten Books: 2007 [First Published in 1917]), p. 210.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (القاهرة: دار الحديث)، ٧ / ٥٧٩.

(٣) تفسير الطبري، ٢٧ / ٢٤٥.

فعلم أن المراد بالإنسان الذي يكون في ذريته الحكم بشرع الله والبرُّ والعدلُ إلى الأبد، هو خليل الله إبراهيم عليه السلام. وهذا ليس بدعاً من القول، فهو ما ذهب إليه علماء أهل الكتاب عند تفسيرهم هذه الفقرة. يقول «تشارلز» معلقاً على النص: «هم إبراهيم وذريته المختارون ليكونوا السلالة التي فيها ومن خلالها يوحى الله أحكامه العادلة.»⁽¹⁾ ومثل هذا ذهب إليه «جون كوليرز» في كتابه «الرؤى في مخطوطات البحر الميت»⁽²⁾، والشواهد على هذا كثيرة. وقد خالف في هذا «روجر بيكويت» فزعم أن «الإنسان» المراد في النص هو يعقوب عليه السلام، وهي محاولة بائسة لحصر النبوة والكتاب في بني إسرائيل (يعقوب) واستبعاد بني إسماعيل عليه السلام الذين هم من ذرية إبراهيم عليه السلام بصريح كتابهم. ولعل هذا ما جعل «بيكويت» يورد زعمه بصيغة الاحتمال لا الجزم.⁽³⁾

هذا هو الحدث العظيم الذي جعله أخنوخ في نهاية الأسبوع الثالث، إنه اصطفاء الخليل عليه السلام ليكون حاملاً للواء التوحيد هو ومن

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (1893), p. 272.

(2) John J. Collins. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls, p. 21.

(3) Roger Beckwith. Calendar and Chronology, p. 246.

صلح من ذريته حتى ادّعى النسبة إليه أقوام لم يكونوا من أهل التوحيد طمعاً في أن ينالوا الشرف.

أما زمانه فقد عاش عليه السلام، وفقاً للموسوعة الكاثوليكية بل وفقاً للرأي السائد بين علماء أهل الكتاب؛ في بداية الألف الثانية قبل الميلاد،^(١) وهذا يضعه في نهاية الأسبوع الثالث تماماً كما ورد في رسالة أخنوخ.

٦. ويعدّئذ، في الأسبوع الرابع، في متهاه، ترى رؤى القديس والبر، وتصنع لكل الأجيال القابلة شريعة، وحظيرة لهم.

يستمر أخنوخ في سرده لأحداث العالم الكبرى ليوقفنا على ما يجري في الأسبوع الرابع. والأسبوع الرابع على الخط الزمني يمتد بين ٢٨٠٠-٢١٠٠ من تاريخ خلق آدم عليه السلام. لكن النص يحدد هنا - كما حدد في الأسبوع الثالث - منتهى الأسبوع ليكون زمن وقوع الحدث، فيقول: "في الأسبوع الرابع، في متهاه، تُرى رؤى القديس والبر"، وقد ذهب «تشارلز» إلى أن المقصود هو "التجليات الربانية لصالح

(١) The Catholic Encyclopedia, "Biblical Chronology"
<www.newadvent.org/cathen/03731a.htm>.

إسرائيل في مصر^(١)، أي ما ظهر من نصره الله بني إسرائيل في مصر وإهلاكه فرعون وقومه، وهو معنى مقبول.

ومما يعضد ما ذهب إليه «تشارلز» قول أخنوخ بعده "وتصنع لكل أجيال المستقبل شريعة وحظيرة". وهذه إشارة إلى "شريعة" التوراة التي أنزلها الله على كلمه موسى عليه السلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر. أما "الحظيرة" - وهي الأرض المسورة - فقد اختلف في تفسيرها على قولين مشهورين، أحدهما: فلسطين، والآخر: خيمة الاجتماع أو سورها، وهي المعبد المتقل الذي صحب بني إسرائيل في تبهم وبعد دخولهم إلى فلسطين. وأيهما كان الصواب فلا فرق، فالنص يتحدث عن خروج بني إسرائيل من مصر ونزول التوراة وبناء خيمة الاجتماع أو دخول فلسطين، وكل ذلك كان في زمن موسى عليه السلام، وهو المراد إثباته دون حاجة إلى الخوض في التفاصيل.

ولكن هل يتزامن ظهور موسى عليه السلام مع متهى الأسبوع الرابع كما يشترط النص؟

ثمة رأيان مشهوران لعلماء أهل الكتاب في تحديد زمن مبعث

(1) R. H. Charles. The Book of Enoch (1893), p. 272.

موسى عليه السلام بناء على اختلافهم في تحديد تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر. فالرأي التقليدي يذهب إلى أن الخروج من مصر كان في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد؛ عمدتهم في هذا المذهب ما جاء في سفر الملوك الأول (٦: ١) «وَكَانَ فِي سَنَةِ الْأَرْبَعِ مِئَةِ وَالْثَمَانِينَ خُرُوجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ...»، فإذا كان ابتداء ملك سليمان عليه السلام عام ٩٧٠ ق.م كما هو الراجح عند علماء أهل الكتاب، فإن خروج بني إسرائيل من مصر كان في سنة ١٤٤٦ ق.م تقريباً،^(١) وعليه فإن فرعون موسى عليه السلام عند القائلين بهذا الرأي هو «تحتس الثالث» الذي حكم بين ١٤٧٩ - ١٤٢٥ ق.م

وهذا القول لا يخلو من أخطاء، منها:

أولاً: زعمُ النص السوري العبراني أن السنة الرابعة من ملك سليمان عليه السلام توافق "سنة الأربع مائة والثمانين" (٤٨٠) لخروج بني إسرائيل؛ يعارض ما جاء في النسخة السبعينية اليونانية الأقدم من أنها توافق "سنة الأربع مائة والأربعين" (٤٤٠)، مما يدل على اضطراب النص.

(١) (٤٨٠ + ٩٦٦) [السنة الرابعة من حكم سليمان عليه السلام = ١٤٤٦].

ثانياً: إذا قمنا بحساب السنين من خروج بني إسرائيل إلى السنة الرابعة من ملك سليمان عليه السلام على وجه التفصيل، فإننا نخلص إلى تقديرات بعيدة عن التقديرين المذكورين في النصين العبراني واليوناني، ٤٨٠ و ٤٤٠ عاماً على التوالي، كما يبين ذلك «أ. س. جیدن» في مدخل «سفر القضاة» الذي كتبه للموسوعة الكتابية الشهيرة International Standard Bible Encyclopedia^(١).

كما نقرأ في «قاموس أنكور الكتابي»:

إن "حلّ الكسول" ببساطة هو أن تجعل الـ ٤٨٠ عاماً المصرح بها في سفر الملوك الأول (٦: ١) بين الخروج [من مصر] وبين السنة الرابعة من ملك سليمان (تقريباً ٩٦٦ ق.م)، فيكون الخروج في عام ١٤٤٦ ق.م، لكن هذا الحل الساذج يستبعده زخم المعلومات الكتابية الأخرى مضافاً إليها معلومات مستقاة من خارج النص. فالزمن الفارق بين الخروج [والسنة الرابعة من ملك سليمان عليه السلام] ليس ٤٨٠ عاماً، بل يربو على ٥٥٣ عاماً... إذا ما نجشّمنا عناء الدراسة

(1) International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003), "Judges, Book of".

المفصلة لشخصيات تلك الحقبة.^(١)

أخيراً، هذا القول مع اضطراب نصه الذي يعول عليه، يخالف ما توصل إليه علماء الآثار والتاريخ من حقائق حول تاريخ المصريين والكنعانيين تستبعد حصول الخروج في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. وقد أقرت بهذه الحقيقة «الموسوعة اليهودية» إذ قالت:

يتفق أكثر العلماء على أن القرن الخامس عشر قبل الميلاد تاريخ متقدم جداً على الخروج [من مصر] ولا يتفق مع المعلومات الأخرى حول التواريخ الإسرائيلية والكنعانية والمصرية.^(٢)

أما الرأي الآخر في المسألة فيجعل خروج بني إسرائيل في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. لكن الخلاف بين القائلين به يكمن في تحديد فرعون الخروج، هل كان «رعسيس الثاني» أم ابنه «مرنبتاح»؟ وهذا الرأي في عمومه أرجح من سابقه لأسباب، منها:

أولاً: جاء في سفر الخروج (١: ١١) عند الحديث عن استعباد فرعون لبني إسرائيل: "فَعَبَّدُوا بَنِيهِمْ إِلَى مُثْرَفَيْنِ عَتَاةٍ

(1) The Anchor Bible Dictionary, "Exodus", vol. II, p. 702.

(2) Encyclopedia Judaica, (CD-ROM Edition), "Exodus".

لِيُسَخَّرُوا لَهُم بِالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ. فَبَنَوْا مَدِينَتِي فِيثُومَ وَرَعَمْسِسَ لِيَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ. "و«رعمسيس» هذه مدينة على الدلتا الشرقية بناها «رعمسيس الثاني» فسميت باسمه؛ وهي التي كان منها خروج بني إسرائيل بنص سفر الخروج (١٢: ٣٧). و«رعمسيس الثاني» حكم بين ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م تقريباً، وعليه فلا يمكن أن يكون الخروج من مصر سابقاً لبداية حكم رعمسيس الثاني، أعني ١٢٧٩ قبل الميلاد.

ثانياً: باستعراض مدد حكم الفراعنة كما تُقدِّمها الدراسات التاريخية/ الأثرية، يتبين لنا طول مدة حكم «رعمسيس الثاني»، وهو ما لم يأتْ لابنه «مرنبتاح» الذي حكم عشر سنين فقط؛ وهذا يستفاد من قول الله ﷻ على لسان فرعون وهو يمتن على موسى ﷺ برعايته مذ كان وليداً: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۖ وَفَعَلْتَ فَعْلَكَ آلَيْنِ فَعَلْتَ وَآنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝١٨﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الْعَالِينَ ۝١٩ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي سُكُونًا وَحَسَّنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا آلِي لَنْ عَبَدَتْ بِقِي إِسْرَائِيلَ ۝٢١﴾ [الشعراء: ١٨-٢٢]. ففيه إشارة إلى أن فرعون الذي تربى موسى ﷺ

في بلاطه هو فرعون الذي استعبد بني إسرائيل، وهو فرعون الذي استحق العقاب بالفرق؛ خلافاً للعهد القديم الذي يجعلها فرعونين

اثنين؛ علماً بأن جل علماء أهل الكتاب القائلين بتأخر تاريخ الخروج من مصر يرون أن فرعون الاستعباد هو «رعميس الثاني».

ثالثاً: عُرف «رعميس الثاني» من بين فراغة مصر بكثرة بناء الصروح والمعالم والتمثيل، حتى وصفه «كليتون» Clayton بقوله: "يقف رعميس الثاني علماً من بين فراغة مصر كبناءً للمعالم والنُصب".^(١) تؤكد هذا الموسوعة البريطانية بقولها: "يعرف بمشاريعه المعمارية الواسعة".^(٢) وهذا أيضاً يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِيَّ إِلَى صِرَاحٍ لِّعَلِّيْ أَنْتَلُكَ مِنَ الْآسِنَةِ﴾ [غافر: ٣٦] وقوله جل شأنه: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَتَّصِعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأمراء: ١٣٧].

أخيراً، نجد «قاموس أنكور الكتابي» يختم بحثه في تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر بقوله: "باختصار، فإن أرجح تاريخ لخروج العبرانيين [بني إسرائيل] من مصر يقع في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد".^(٣)

(1) P. A. Clayton, Chronicle of the Pharaohs (London: Thames and Hudson Ltd., 1994), pp. 153.

(2) Encyclopaedia Britannica, "Ramses II".

(3) The Anchor Bible Dictionary, "Exodus".

وإذا علمنا أن «رعمسيس الثاني» حكم بين ١٢٧٩-١٢١٣ ق.م، أمكننا القول بكل ثقة بأن فرعون موسى عليه السلام هو «رعمسيس الثاني» إذ لم يشاركه حكم مصر أحد في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وهذا ما نص عليه تفسير الكتاب المقدس المعروف باسم The NIV Study Bible من أن فرعون الخروج هو «رعمسيس الثاني».^(١)

بناءً على ما سبق فإن موسى عليه السلام عاش في منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو تاريخ مطابق تمام المطابقة لما اشترطه أخنوخ من ظهوره في نهاية الأسبوع الرابع لبدء الخليقة. وإنما أطلت الحديث عن تحديد فرعون الخروج ومن ثم ظهور موسى عليه السلام للحاجة إليه فيما بعد فيستغنى بيانه هنا.

يلحظ القارئ فيما سبق أننا تمكنا من تفسير النص بيسر بالغ عندما قسمنا الأسبوع الواحد إلى سبعة قرون أو ٧٠٠ عام، فجاءت الأحداث في موضعها على الخط الزمني دون تكلف أو تعسف. كما أن تفسيرنا للأحداث والأشخاص يكاد يكون محل إجماع عند علماء

(1) The NIV Study Bible (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1995), p. 287.

أهل الكتاب. ولكن ليس الحال كذلك فيما تبقى من النص كما سنرى، والسبب في ذلك سيتجلى للقارئ في حينه.

٧. وبعده، في الأسبوع الخامس، في متها، يُبنى بيت المجد والملكوت إلى الأبد.

نحن هنا بين عامي ٢٨٠٠-٣٥٠٠ منذ بدء خلق آدم عليه السلام (الموافق لـ ١٢٠٠-٥٠٠ ق.م). أما "بيت المجد والملكوت" فهو "بيت المقدس" أو "الهيكَل" كما يسميه اليهود، ولا أعلم أحداً من أهل الكتاب المعترين خالف في ذلك. لكن موطن الخلاف هو أي الهيكَلين أراد؟ هل أراد به بناء «الهيكَل الأول» على يد سليمان عليه السلام في القرن العاشر ق.م، أم بناء «الهيكَل الثاني» عام ٥٢٠-٥١٥ ق.م؟

لنفترض جدلاً أنه البناء الأول أو «الهيكَل الأول» كما يسميه اليهود - وهو الرأي الذي ذهب إليه ريتشارد لورنس^(١) - فكم سيكون بين ذلك البناء وبين موسى عليه السلام الذي هو حديث الأسبوع الرابع؟ لقد امتد ملك سليمان عليه السلام كما تقدره المصادر بين ٩٧٠-٩٣٠ ق.م، أي بعد وفاة موسى عليه السلام بثلاثمائة (٣٠٠) عام تقريباً على ما رجحناه

(1) Richard Laurence. The Book of Enoch, the Prophet, p. 139.

من زمن ظهور موسى ^{عليه السلام} وهذا أقل من نصف المدة التي يشترطها سفر أخنوخ وهي ٧٠٠ عام؛ فإنه جعل أحداث الأسبوع الرابع في متناه وهو هنا يشترط نفس الشيء، فدل على أن ما بينهما أسبوع أو ٧٠٠ عام تقريباً.

لكن قائلاً قد يقول: إنك إنما بنيت حسابك على ما زعمت أنها التواريخ الصحيحة لخروج بني إسرائيل وهذا من التحكم، ولو أعملت حسابات علماء أهل الكتاب لما وقع هذا التناقض.

أقول: إن علماء أهل الكتاب - كما فصلنا - مختلفون أشد الاختلاف في تحديد زمن خروج بني إسرائيل من مصر على ما هو معلوم عند أهل الاختصاص، فمنهم من جعله عام ١٤٤٦ ق.م، ومنهم من سلم بأن الخروج كان بعد هذا التاريخ بمائتي عام على الأقل كما صنع كثير من علماء أهل الكتاب، من أشهرهم عالم الآثار «ويليام أولبرايت»^(١).

(1) William F. Albright, From The Stone Age To Christianity: Monotheism and the Historical Process (Doubleday, 1957), 256.

أما اليهودية الحاخامية فتأخذ بتقويم «سيدر عولام ريثا» (تقويم العالم العظيم) الذي يحدد الخروج من مصر بـ ٢٤٤٨ عاماً منذ خلق آدم ^{عليه السلام}، أي في عام ١٥٥٢ ق.م تقريباً إذا ما اعتمدنا تواريخ النسخة المسورية للعهد القديم التي تجعل خلق آدم ^{عليه السلام} قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف عام. وهذا التحديد للخروج من مصر سيجعل الفرق بينه وبين بناء الهيكل الأول ستمائة عام ونيفاً، وهو وإن اتفق إلى حد كبير مع اشتراط أخنوخ في رؤياه، إلا أنه يناقض صراحة نص كتابهم، إذ يحدّثنا سفر الملوك الأول (١: ٦) قائلاً: «وَكَانَ فِي سَنَةِ الْأَرْبَعِ مِئَةِ وَالْثَمَانِينَ خَرُوجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فِي شَهْرِ زَيْوَ وَهُوَ الشَّهْرُ الثَّانِي، أَنَّهُ بَنَى الْبَيْتَ لِلرَّبِّ». فنص كتابهم على أن ما بين الخروج إلى بناء الهيكل الأول ٤٨٠ سنة، وهو حجة عليهم.

أما إذا اعتبرنا بداية الخلق عام ٣٧٥١ ق.م كما هو تقدير «سيدر عولام ريثا» أو عام ٣٧٦١ ق.م وفقاً للتقويم اليهودي الحالي، فإن خروج بني إسرائيل من مصر سيكون عام ١٣١٤ ق.م تقريباً، وهو تقدير بين التقديرين الشائعين لزمان الخروج، فلا هو اتفق مع حسابات النسخة المسورية العبرانية، ولا هو اتسق مع الأبحاث التاريخية/ الأثرية.

وحتى لو سلمنا جدلاً بصحة حسابات من زعم أن الخروج من مصر كان في القرن الخامس عشر أو السادس عشر قبل الميلاد - وهو خطأ محض - فنحن أمام معضلة أخرى وهي تقاصر المدة بين إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام حتى تصبح إلى خمسمائة عام.

ونحن لو تتبعنا الخط الزمني كما صورّه أخنوخ، بغض النظر عن تفاصيل الأحداث، فإننا سنجد أن نهاية الأسبوع الخامس تكون عند عام ٣٥٠٠ منذ خلق آدم عليه السلام وهو ما يوافق السنة ٥٠٠ ق.م، فإن كان ثمة بناءً للهيكل في نهاية الأسبوع السادس فهو البناء الثاني بلا ريب، وقد تم ذلك على يد العائدين من السبي البابلي بين عامي ٥١٥ - ٥٢٠ ق.م وهذا الهيكل هو المعروف بالهيكل الثاني The Second Temple كما سيتضح جلياً مما بقي من الرؤيا.

أما وصف أخنوخ ببناء بيت المجد والملكوت بقوله "إلى الأبد" فلعل المراد به أنه لن يزول زوالاً تاماً، أما إحراقه أو هدم أجزاء منه فقد حدث بالفعل كما تبينه الفقرة التالية.

٨. وبعدهذا، في الأسبوع السادس، كل الذين يعيشون فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم أسيرة لفقطة شديدة عن الحكمة؛ وفيه يصعد

إنسان. وفي متناه يُحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار
سيتشتت.

يشرع أخنوخ في الحديث عن الأسبوع السادس الذي يمتد
بين عامي ٣٥٠٠-٤٢٠٠ منذ خلق آدم عليه السلام (الموافق لـ ٥٠٠ ق.م-
٢٠٠م)، فيصف أحداثاً "فيه" وأحداثاً "في متناه". فأما الأحداث التي
في أثناء الأسبوع دون تحديد لزمان فيشملها قوله: "كل الذين يعيشون
فيه سيكونون عمياً؛ وقلوبهم أسيرة لغفلة شديدة عن الحكمة." فإن
اليهود عقب عودتهم إلى فلسطين بعد أن سباهم بختنصر البابلي أخرج
لهم «عزرا» ديناً مولداً هجيناً يجمع بين وثنية الفرس والبابليين ودين
موسى عليه السلام، وعلى أساس هذا الدين قام الهيكل الثاني. يقول حزقيال،
الإصحاح الثامن، واصفاً حال «الهيكل الثاني» وسدنته وشيخه
والمُصلين فيه بعد السبي البابلي:

فَدَخَلْتُ وَنَظَرْتُ، فَإِذَا كُلُّ تَصَاوِيرِ أَشْكَالِ الْحَيَوَانَاتِ
وَالْبَهَائِمِ النَّجَسَةِ، وَجَمِيعُ أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ مَرْسُومَةٌ
عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ الْجُدُرَانِ، وَقَدْ مَثَلَ أَمَامَهَا سَبْعُونَ رَجُلًا
مِنْ شَيْوِخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ ... وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِجْمَرَةٌ
تَتَصَاعَدُ مِنْهَا غَيَمَةٌ عَطِيرَةٌ مِنَ الْبُخُورِ ... ثُمَّ أَخْصَرَنِي لِمَلَكَ

الرب أو نحوه] إلى المذخل السَّمَاوِي لِتَوَابَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، فَإِذَا هُنَاكَ نِسَاءٌ يَنْدُبْنَ تَمُوزَ ... ثُمَّ أَخْضَرَنِي إِلَى الْفَنَاءِ الدَّاخِلِيِّ لَيْسَتْ الرَّبِّ، فَإِذَا عِنْدَ مَدْخَلِ هَيْكَلِ الرَّبِّ بَيْنَ الرُّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ نَحْنُ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ رَجُلًا أَذَارُوا ظُهُورَهُمْ هَيْكَلِ الرَّبِّ، وَاتَّجَّهُوا بِوُجُوهِهِمْ نَحْوَ الشَّرْقِ سَاجِدِينَ لِلشَّمْسِ.

وهذه كلها من مظاهر عبادة الشمس التي كانت منتشرة في أرض بابل فدخلت في عقائد اليهود. يقول «قاموس أنكور الكتابي»: "بَقِيَتْ عبادة الشمس بعد السبي واحدة من العبادات الوثنية الأكثر شيوعاً بين يهود فلسطين كما تشهد بذلك المصادر الخارجية ... لقد صُرفت بعض الصفات التي كانت تخص الشمس المؤلفة إلى تَهْوَه [معبود اليهود] الذي اكتسب بذلك مظهراً شمسياً."

ثم يضيف: "إن عدداً من العلماء يرى أن الهيكل في أورشليم صُمِّمَ كمركز لعبادة الشمس حيث يُعبد الربُّ كإله شمس ...".^(١) وقد فصلت في تأثير الوثنية الفارسية/ البابلية على يهود ما بعد السبي في غير هذا الموضع فلا حاجة لإعادته.^(٢)

(1) Anchor Bible Dictionary, "Sun".

(2) أنظر كتاب: البوعية والفاثيكان والنظام العالمي الجديد، (الرياض: مركز البحوث والدراسات بمجلة اليان، ١٤١٣هـ / ٢٠١٠م) ص ٣٩-٥٣.

المقصود أن بني إسرائيل حادوا عن منهج الأنبياء إلا من رحم الله منهم، وتولى كبر هذا الكفر منهم طائفة الفريسيين إلى زمن عيسى بن مريم عليهما السلام. وقد سجل العهد الجديد موقفهم من نبوة المسيح عليه السلام وعداؤهم لرسالته وتأمرهم على قتله وصلبه، لكن الله نجاه منهم، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿٣٨﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

هذه الحقيقة التي لا لبس فيها عند أهل الإسلام هي التي أقرها سفر أخنوخ بقوله عن المسيح عليه السلام: "وفيه يصعد إنسان"، فهو أولاً "إنسان" وليس إلهاً أو ابناً للإله، ثم إن الكاتب اكتفى بذكر الصعود إلى السماء فلم يذكر قتلاً ولا صلباً. وهاتان مسألتان - أعني بشرية المسيح عليه السلام وعدم صلبه - خالف فيها النصارى أهل الإسلام، وما هو أخنوخ يشهد فيها لأهل الإسلام. وقد زعم بعض شراح أهل الكتاب أن المقصود بالإنسان في الفقرة «إيليا»، وهو قول مردود كما سألته في حينه.

تلك هي الأحداث التي "في" الأسبوع، أما التي "في متهاه"
فقوله: "وفي متهاه يُحرق بيت الملكوت، وكل نسل الأصل المختار
يبشت؛"

أما "بيت الملكوت" فهو بيت المقدس (أو الهيكل الثاني) كما
تقدم. وقد يقول قائل: إن الهيكل الأول أحرق كذلك على يد بختنصر
البابلي فلم رجحت دون مرجح؟

فأقول: إن الزعم بأنه الهيكل الأول بعيد كل البعد كما سبق،
فإن الهيكل الأول بني زمن سليمان ~~الملك~~ في أثناء مملكته (٩٧٠-٩٣٠
ق.م تقريباً) ولم يكن ذلك في متهى الأسبوع الخامس كما يشترط سفر
أخنوخ بل في نصفه الأول. وكان تدمير الهيكل وحرقه في ٥٨٧ ق.م
أي قبل دخول الأسبوع السادس أصلاً، علماً أن النص يشترط أن
يكون البناء والإحراق في متهى الأسبوعين الخامس والسادس على
التوالي، فكيف تكون الإشارة إلى التدمير الأول؟

فإن قال قائل: إن ما بين بناء الهيكل الأول وبين هدمه من الزمان
هو مقياس طول الأسبوع في رؤيا أخنوخ، على خلاف ما انتهجتم.

قلنا: بناء الهيكل كان في ٩٦٧ ق.م تقريباً، وإحراقه كان في

٥٨٦ ق.م وبينهما كما هو ظاهر ٣٨١ عاماً فقط، فهل هذه هي مدة "الأسبوع" في رؤيا أخنوخ؟! إن هذا يعني أن ما بين ميلاد أخنوخ الذي ولد في منتهى الأسبوع الأول وإبراهيم عليه السلام الذي عاش في منتهى الأسبوع الثالث ٧٦٢ عاماً فقط (أسبوعين) وهذا من الوهم، فإن بينهما ضعف هذا العدد من السنين على ما قرره علماء أهل الكتاب أنفسهم.

فتبين بذلك أن المقصود بالمبكل في الأسبوعين الخامس والسادس هو «المبكل الثاني» الذي بناه اليهود برعاية من الفرس بعد أن عادوا من السبي البابلي. وعليه فيبطل زعم من زعم أن "الإنسان" الذي "يصعد" في هذه الفقرة هو نبي الله «إيلياء» (إلياس عليه السلام) وليس المسيح عليه السلام، فإن بينهما عقوداً.

هذا فيما يتعلق بالحدث الأول في منتهى الأسبوع السادس، أما الحدث الثاني فهو أن "كل نسل الأصل المختار سينتشت". وهو إشارة إلى شتات اليهود في القرن الأول الميلادي لا سيّهم على يد بختنصر. فإن اليهود لما ثاروا على الحكم الروماني بين عامي ٦٦ و١٣٦ م لأسباب مختلفة، انتهى الأمر بإحراق بيت المقدس وتدميره، وقُتل منهم خلق كثير، وأُخرجوا من القدس التي أصبحت تسمى «إيليا كابيتولينا»؛

وتفرّق اليهود في أنحاء إفريقيا وآسيا وأوروبا، وهو ما يعرف باسم الـ «دياسبورا» أي «الشتات». وهذه الأحداث تنهي بنهاية الأسبوع السادس.

٩. وبعده، في الأسبوع السابع، سيقوم جيل كافر، كثيرة أعماله، وكل أعماله كفر.

بعد أن تسلط الروم على بني إسرائيل واضطهد من كان على دين المسيح (عليه السلام)، اندرس الدين وقام جيل مرتد كافر بالله (عليه السلام) يعبد الأصنام ويأكل الميتة ويأتي الفواحش ويقطع الأرحام؛ ولم يبق على التوحيد إلا قليل من أهل الكتاب. قال (عليه السلام) كما في صحيح مسلم: "وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" عن تمسكوا بدين الأنبياء إلى أن بعث الله سيد الخلق محمداً (عليه السلام).

١٠. وفي انتهاء، يصطفى الصفوة الأبرار من غراس البر الأبدية لينالوا سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه.

هنا تنقشع الجلود، وتحقق القلوب، وتذرف العيون، ويقف المرء مشدوهاً ما عساه يقول. إن أخنوخ الذي يحدث بنيه عن "بني البر، وصفوة الخلق، وغراس الاستقامة" يتهم بنا إلى مشهد جليل

فيقول: "وفي متناه" أي متهى الأسبوع السابع "يُصْطَفَى الصَفْوَةُ الأبرار من غراس البر الأبدية". ومن هم الصَفْوَةُ الأبرار إلا محمد ﷺ وأمه؟ الذين دك الله بهم صروح الكفر، وتضعض لهم جبابرة الروم والفرس، وبلغ ملكهم مشارق الأرض ومغاربها، كما قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ قَرَأْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مَلِكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَتَرَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ."^(١)

الله أكبر إله - والله - لشرف النمر أن تكون من أتباع المصطفى ﷺ.

ومما زادني شرفاً وتبهاً وكدت بأخصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك (يا عبادي) وإن صيرت أحمد لي نبياً

إنه صفوة الخلق كما قال عن نفسه: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ."^(٢) إنه من نسل أبيه إبراهيم عليه السلام الذي اصطفاه الله في الأسبوع الثالث من الرؤيا ليكون غراساً للبر، وتكون ذريته غراس البر إلى الأبد. فكانت النبوة في ذريته

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، حديث رقم ٢٨٨٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم ٢٢٧٦.

من إسحاق عليه السلام حتى ختمت برفع المسيح عليه السلام. ثم جعلها الله في ذرية إبراهيم عليه السلام من نسل ابنه إسماعيل عليه السلام فكانت رسالة الإسلام الخالدة التي نسخت كل ما قبلها من الرسالات.

وقد علق «جون كوليتز» على هذه الفقرة بقوله:

في رؤيا الأسابيع الأخنوخية، تأتي نقطة التحول باختيار الصفوة الأبرار في الأسبوع السابع الذي يأتي مباشرة في أعقاب تدمير الهيكل. هذا الأسبوع يقطنه "جيل كافر". بل إن الهيكل الثاني [بيت المقدس] لا يُعترف به هنا، فيبدو من المظن أن نستبط أن "الصفوة الأبرار" قد صُرفوا عنه.⁽¹⁾

قلت: هذا استنباط ذكي جداً، وهو حق؛ لكنهم لم يصرفوا عن بيت المقدس بعدة ولا بعناد، وإنما صرفوا عنه بوحي من الله ﷻ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث البراء قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكُعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

(1) John Collins. Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism (Boston: Brill Academic Publishers, 2001), p. 267.

﴿قَدْ رَأَى تَلَلَتْ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتَوَلَّيْتَكَ قِبْلَةً رَزَمَهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرُ ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ. ^(١)

وبالرغم من أن ذكاء «كولينز» لم يهده إلى الإقرار بأن صفوة الأبرار هم أتباع محمد ﷺ، إلا أنه يضيف قائلاً:

لقد أعطوا «سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه» - باختصار، إنهم ينعمون بوحى فريد special revelation. إن ظهور «الصفوة الأبرار» هو في حد ذاته ذروة التاريخ. ^(٢)

فمن معاني قول أخنوخ: "لينا لواء سبعة أضعاف التعاليم بالنسبة لكل خلقه" مضاعفة الله لهذه الأمة في الفضل والأجر، فقد أرسل الله إليها خير رسله، وأنزل عليه أفضل كتبه. قال الحسن البصري - رحمه الله -: "أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب من السماء، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الأحاد، حديث رقم ٦٨٢٥.

(2) John Collins. Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism, p. 267.

الأربعة الفرقان... " (١) فهو كما قال «كوليتز» "وحي فريد".

كما ضاعف الله لهذه الأمة أجور أعمالهم فرضي منهم باليسر
وأثابهم عليها بالأجر الجزيل كما في الصلوات الخمس، فإنها خمس في
العدد لكنها خمسون في الأجر. وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما
أن النبي ﷺ قال: **إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَالًا**
فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ
عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِرَاطٍ قِرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ
تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ.
فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ عَطَاءً! قَالَ:
هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ
أَشَاءُ." (٢)

فتبين لكل قارئ منصف باحث عن الحق أن المصطفين الأبرار
في الأسبوع السابع هم أتباع رسالة الإسلام الخالدة الذين جعلهم الله
شهوداً على من سبقهم من الأمم كما قال في كتابه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾،

(١) مجموع فتاوى ابن نيمية، ١٧ / ١٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، حديث رقم ٢١٢٩.

[البقرة: ١٤٣] وقال أيضاً: ﴿هُوَ لِحَبَّتِكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قِتْلَةً أَيْكُمْ لِإِزْهِيمٍ هُوَ سَنَّكُمْ السُّلَيْبِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [المحج: ٧٨].

وفي الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ..."^(١) الحديث.

فلا غرو أن جاء في النسخة الآرامية من الرؤيا: "وفي متهاه، يصطفى الصفوة الأبرار ليكونوا شهود البر من غراس البر الأبدية".^(٢)

وانظر أيها الباحث عن الحق كيف تحدث أخنوخ عن أربعة من أولي العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام،

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٢١٧.

(2) Otto Neugebauer, et al. The Book of Enoch: Or I Enoch (Brill, 1985), p. 86.

ثم ختم ذلك بحديث مطابق لحال أمة محمد ﷺ في الزمان والصفة،
ومحمد ﷺ هو الخامس من أولي العزم المذكورين في آيتي الأحزاب
والشورى، فكان في ذلك مزيد إشارة إلى المقصود.

فإن قال قائل: إن محمداً ﷺ لم يُنبأ في منتهى الأسبوع السابع
وإنما في المائة الخامسة منه.

قلنا: هذا من التعت الواضح؛ فإن القرن الخامس في سبعة
قرون هو في المنتهى؛ ومع ذلك فإن النص لم يقل: "وفي منتهاه، بصطفى
إنسان" كما قال عن إبراهيم الخليل، وإنما جعل الاصطفاء لأمة بأسرها
فقال: "بصطفى الصفوة الأبرار من غراس البر الأبدية"، وها هي أمة
الإسلام لا تزال قائمة، بل إنه ما انقضى الأسبوع السابع (٩٠٠م)
حتى نشروا الإسلام في المشرق والمغرب.

وقد ضربتُ صفحاً عما بقي من النص لثلاثة أسباب ألمحت
إليها سلفاً؛ أولها: أن إلحاق تلك الفقرات بهذه الرؤيا هو موضع
خلاف بين علماء أهل الكتاب. ثانياً: يعتبر بعض العلماء تلك
الفقرات من قبيل ما يسمى «ما وراء التاريخ» الذي يصعب القطع
بمعانيه، وقد يعده البعض الآخر من الأساطير لا التاريخ، فاستفراغ

الجهد في تأويل ما أحسن أحواله الظن مع وجود القطعي ليس من
الحكمة في شيء. ثالثاً: وهو الأهم، أن تلك الفقرات لا تعيننا كثيراً
في هذا البحث، فليس من همتي أن أزيد على إثبات نبوة المصطفى ﷺ
وصدق رسالته، ففي هذا المبلغ صلاح الدنيا والآخرة لمن أراد اتباعه،
فأغنى عما سواه.



«رؤيا إبراهيم»

سفر «رؤيا إبراهيم» The Apocalypse of Abraham هو أحد الأسفار المتحولة التي كتبت في القرن الأول الميلادي. ⁽¹⁾ يقول «ريزارد روينكفيتس»: «إن «رؤيا إبراهيم»، بأصلها الفلسطيني، وتأريخ كتابتها المبكر، وتراثها المشترك مع سفر أخنوخ الأول، وارتباطاتها بكتابات العهد الجديد؛ لتجد لنفسها مكاناً بين أهم الأعمال في العالم اليهودي في القرن الأول الميلادي.» ⁽²⁾

وعلى الرغم من أن أكثر العلماء يذهب إلى أن أصل الرؤيا كتب بالعبرانية أو الآرامية، إلا أن أقدم النسخ الموجودة بين أيدينا إنما كتبت باللغة السلافية القديمة.

تُستهل الرؤيا بالحديث عن إبراهيم عليه السلام وهدايته واصطفائه من قوم يعبدون الأصنام، وتختتم بالحديث عن الرؤيا التي هي موضوع دراستنا. وعلماء أهل الكتاب يكادون يجمعون على تفسير الخطوط

(1) James H. Charlesworth. The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 1998), p. 32.

(2) The Anchor Bible Dictionary, "Abraham, Apocalypse of" vol. I, p. 43.

العريضة للرؤيا، لكن التفاصيل هي محل الخلاف، لا سيما ما يتعلق بأحداث الساعة الثانية عشرة في آخر الزمان، وسيأتي بيان ذلك من خلال تفسير النص.

نص الرؤيا وتفسيره:

رأى إبراهيم عليه السلام من بين ما رأى صورة قد سُطرت فيها أعمال العباد وما هم صانعون، وقد قُسم الخلق فيها إلى ميمنة ومبيرة، فتساءل:

٢٢. أيها الأبدى القادر! من هم الناس في هذه الصورة في هذا الجانب وذاك؟

فقال لي: أما الذين عن الشمال فكل الذين وُلدوا قبل يومك وبعده، منهم من كُتب له الحكم والصلاح، وآخرون الانتقام والمحق في آخر الزمان. وأما الذين عن يمين الصورة فهم الذين جعلتهم لنفسي، وقضيت أن يولدوا من صلبك، ودعوتهم شعبي. حتى بعض أولئك الذين من عزازيل.

يسأل إبراهيم عليه السلام في هذه الفقرة ربه عما يراه من فئتين ماثلتين في الصورة إحداهما في الشمال والأخرى في اليمين. فيجيبه الله بأن النبي

في الشمال هي كل البشر منذ بدء الخليقة إلى نهايتها. منهم من يكون من أهل السعادة ومنهم من يكون من أهل الشقاوة. أما الفئة التي في يمين الصورة فهم بنو إسرائيل الذين من نسل إبراهيم ~~عليه السلام~~ من جهة يعقوب ~~عليه السلام~~، فهم «شعب الرب» كما يزعمون. ولا شك أن بني إسرائيل فُصلوا على غيرهم من أهل زمانهم.

يلحظ القارئ في النص تقسيم البشر إلى الشعب المختار وإلى غيرهم من الأمم. ولم أر من الشراح من خالف في أن المقصود هم «اليهود» و«غير اليهود». لكن الإشكال في وصف غير اليهود بالـ «وثنيين»، علماً أن الفقرة أعلاه تصرح بأن الذين في ناحية الشمال من الصورة منهم البر «من كتب له الحكم والصلاح»، ومنهم الفاجر الذي كتب عليه «الانتقام والمحق في آخر الزمان». وبما أن النص الأصلي للرؤيا كتب بالعبرانية أو الآرامية فإن الكلمة المستعملة هي «جويسم» أو «عَمِّيَّا» على التوالي. وكلتا الكلمتين لا تعني أكثر من «الأمم»، وإنما اكتسبت معنى «وثنين» لأن اليهود عَدُّوا كل من سواهم وثناً. لذا نجد بعض مترجمي الرؤيا يستعمل العبارة الإنجليزية (the nations) التي تعني «الأمم» وبعضهم يستعمل (the heathen) وتعني «الوثنيين» لإيصال المعنى المراد. وقد آثرت أن أستعمل في

ترجمتي كلمة «الأميين» لاكون أدق في ترجمة الأصل مع عدم إغفال الجانب العنصري في الكلمة.

”حتى بعض أولئك الذين من عزازيل“. عزازيل يمثل الشيطان أو إبليس أو الجن عموماً. والمقصود في الفقرة - والله أعلم - أن بعض من كان في الصورة كانوا من الجن الذين هم من ولد إبليس، كما قال شيخ الإسلام “الشياطين هم مَرَدَّةُ الإنس والجن، وجميع الجن وَلَد إبليس والله أعلم،”^(١) وسيأتي لهذا مزيد بيان.

٢٥. ورأيت هنالك مثل صنم الغيرة، منحوت من الخشب، كذلك الذي اعتاد أبي صنعه، وكان جسده من النحاس اللامع يغطي الخشب. ورأيت أمامه رجلاً يعبد الصنم، وكان قدامه مذبح، وعلى المذبح غلام مذبح بين يدي الصنم.

أما «صنم الغيرة» أو «تمثال الغيرة» (“سِجِلْ هَكُنَّاه” في النص العبراني) فقد جاء ذكره في موضعين من سفر حزقيال عند حديثه عن تسلل عبادة الوثنيين إلى داخل الهيكل الثاني بعد السبي البابلي. يقول حزقيال:

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ١٥ / ٧.

وَحَلَّقَ بِرُوحٍ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَخْضَرَنِي فِي رُؤْيَى اللَّهِ
إِلَى أَوْرُشَلِيمَ، إِلَى مَدْخَلِ الْبَوَايَةِ الشَّمَالِيَّةِ لِلْسَّاحَةِ الدَّاخِلِيَّةِ،
حَيْثُ يَتَصَبُّ التَّمْثَالُ الْمُبْتَدِعُ لِلْغَيْزَةِ. فَإِذَا بِمَجْدٍ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ
حَالٌ هُنَاكَ كَمَا كَانَ حَالًا فِي الرُّؤْيَا الَّتِي شَاهَدْتُهَا فِي السَّهْلِ.
ثُمَّ خَاطَبَنِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَتَيْتَ الْآنَ نَحْوَ الشَّمَالِ». فَالْتَفَتْتُ
وَإِذَا بِي أَرَى مِنْ شِمَالِي بَابَ الْمَذْبَحِ يَمُتَالُ الْغَيْزَةِ هَذَا مُتَصِّبًا فِي
الْمَدْخَلِ. وَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ شَاهَدْتَ مَا يَرْتَكِبُونَ: هَذِهِ
الرَّجَاسَاتُ الْفَظِيحَةُ الَّتِي يَقْتَرِفُهَا شَعْبُ إِسْرَائِيلَ لِيُعْذِرُونِي
عَنْ مَقْدِسِي؟ وَلَكِنْ أَنْتَظِرْ، فَلَا تَلْبُثُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْجَاسًا
أَفْطَحَ». [حزقيال ٨: ٣-١٣]

وكان هذا الصنم يمثل إلهة الشمس «عشتار» التي هي من
آلهة الحوريين؛ ولذا قال هنا: "كذلك الذي اعتاد أبي صنعه" يعني في
بلاد العراق. أما الرجل الذي يقدم القرابين للصنم فهو «منسى» كما
سيأتي.

فقلت له: "ما هذا الصنم وهذا المذبح، ومن ذلك القربان؟ وما
هذا البناء العظيم الذي أرى حسنَ الصنع والصورة، حُسنه كذلك
الذي نحت عرشك؟

فقال: "اسمع يا إبراهيم، إن الذي تراه هو الهيكل، نسخة من الذي في السماوات، جليل في هيئته وحسنه، أعطيه لبني آدم ليرسموا كهناً لاسمي المجيد، وتقام فيه صلوات الناس، وتقدم فيه القرابين كما أمر قومك، أولئك الذين يقومون من جيلك. أما الصنم الذي رأيت فتمثال الغيرة، ينصبه بعض من يخرج من صلبك في آخر الأيام. وأما الإنسان الذي يسفك الدماء قرباناً فذاك الذي يدنس هيكلي، وأولئك شهود على الدينونة الآخرة، ونصيبهم مقدر منذ بدء الخليقة ...

فالباء العظيم هو الهيكل الأول، أما الذي ينصب تمثال الغيرة - عشار - في الهيكل فهو ملك اليهود «منسى» وسير يسيرته ملوك آخرون من أمثال آمون ويهوياقيم ويهوياكين. وتفصيل هذه الفقرة من تدنيس الهيكل وتقديم الغلمان قرايين نجده في سفر الملوك الثاني:

وَأَزْتَكَّبَ [مَنْسَى] الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، مُقْتَرِفًا رَجَاسَاتِ
الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَادَ وَشَيْدَ
مَعَابِدِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي هَدَمَهَا آبَاؤُهُ حَزَقِيَّا، وَأَقَامَ مَذَابِحَ الْبَعْلِ،
وَنَصَبَ تَمَاثِيلَ عَشْتَارُوتَ عَلَى غِرَارٍ مَا صَنَعَ أَخَابُ، وَسَجَدَ
لِكَوَاكِبِ السَّمَاءِ وَعَبَدَهَا. وَيَنْسَى مَذَابِحَ فِي هَيْكَلِ الرَّبِّ فِي
أُورُشَلِيمَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الرَّبُّ: «فِي أُورُشَلِيمَ أَجْعَلُ اسْمِي» ...

وَأَجَارَ ابْنَهُ فِي النَّارِ، وَرَصَدَ الْأَوْقَاتَ وَجَأً إِلَى أَصْحَابِ الْجَانِ
وَالْعَرَافِينَ وَأَوْغَلَ فِي الزَّنْكَابِ الشَّرِّ بِمَا أَثَارَ عَلَيْهِ غَضَبَ اللَّهِ
الرَّهِيْبَ. وَنَصَبَ بِمَثَالِ عَشْتَارُوثَ الَّذِي صَنَعَهُ، فِي الْهَيْكَلِ
الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ لِدَاوُدَ وَسَلِيمَانَ: «فِي هَذَا الْهَيْكَلِ، وَفِي
أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُمَا مِنَ الْأَرْضِ، الَّتِي وَهَبْتُهَا لِأَبَائِهِمْ،
أَجْعَلْ اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ. فَإِذَا أَطَاعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَمِلُوا كُلَّ مَا
أَمَرْتُهُمْ بِهِ، وَطَبَّقُوا الشَّرِيعَةَ الَّتِي أَوْصَاهُمْ بِهَا عَبْدِي مُوسَى،
فَإِنِّي لَنْ أَرْغِزَ أَفْدَامَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي وَهَبْتُهَا لِأَبَائِهِمْ». ^(١)
لَكِنَّهُمْ عَصَوْا، بَلْ أَضْلَهُمْ مَنْسَى فَازْتَكَبُوا مَا هُوَ أَقْبَحُ بِمَا
تَرْتَكِبُهُ الْأُمَمُ الَّتِي طَرَدَهَا الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ...
وَزَادَ مَنْسَى فَسَفَكَ دَمَ أُبْرِيَاءَ كَثِيرِينَ، حَتَّى مَلَأَ أُورُشَلِيمَ مِنْ
أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا.

فلما عتوا عما نُهوا عنه خاطبهم الرب قائلاً:

لَأَنَّ مَنْسَى مَلِكُ يَهُودَا اقْتَرَفَ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَوْبِقَاتِ، وَازْتَكَبَ

(١) في هذا النص إثبات أن حق بني إسرائيل في الأرض المقدسة لم يكن حقاً
مطلقاً، بل كان مشروطاً بإقامتهم دين الله، فلما حادوا عن منهج الله نزع منهم ذلك
الحق، وإنما يرث الأرض عباد الله الصالحون.

شُرُوراً أَشَدَّ قَطَاعَةً مِنْ شُرُورِ الْأُمُورِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ،
وَأَصْلُ يَهُودًا فَجَعَلَهُ يَأْتُمُّ بِعِبَادَةِ أَصْنَامِهِ، لِذَلِكَ يَقُولُ الرَّبُّ
إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَا أَنَا أَجْلِبُ شَرًّا عَلَى أورشليمَ وَيَهُدَا، فَتَطِينُ
أَذْنَا كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ بِهِ. وَسَأُوقِعُ عَلَى أورشليمَ الْعِقَابَ الَّذِي
أَوْقَعْتُهُ بِالسَّامِرَةِ، وَيَأْخُذُ النَّسْلَ. وَأَمْسَحُ أورشليمَ مِنَ
الْوُجُودِ كَمَا يُنْسَحُ الطَّبَقُ مِنَ بَقَايَا الطَّعَامِ، ثُمَّ يُقْلَبُ عَلَى
وَجْهِهِ لِيَجِفَّ. وَأَنْبِذُ بَقِيَّةَ شَعْبِي وَأَسْلَمُهُمْ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ،
فَيُضْبِحُونَ غَنِيمةً وَأَسْرَى لَهُمْ.

وهذا ما تشير إليه الفقرة التالية من رؤيا إبراهيم عليه السلام:

٢٧. فنظرت وإذا الصورة تميل، وقد ظهر منها من ناحية الشمال
قوم فُجَّارٌ فسلبوا الذين عن اليمين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، فمنهم من
قتلوا ومنهم من سَبَّوْا. ورأيتهم يركضون وراءهم من أربعة منازل،
فأحرقوا الهيكل بالنار، ونهبوا كل ما فيه من المقدسات.

فبسبب طغيان بني إسرائيل وعبادتهم آلهة الوثنيين، سلط الله
عليهم عدواً من ناحية الشمال (أي من غير بني إسرائيل) هم البابليون
الوثنيون بقيادة «بختنصر». وهنا يبدأ «زمن الفُجُور» أي تسلط الكفرة

على بني إسرائيل عام ٥٦٨ ق.م كما سيأتي بيانه. وقد جاء وصف ما صنعه البابليون من استحلال الهيكل ونهب مقدساته وحرقة في سفر الملوك الثاني:

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنَ السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ عَشْرَةَ
مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ بُوْخَدَنَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، قَدِمَ بُوْزَرَادَانُ
قَائِدُ الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَخْرَقَ الْهَيْكَلَ
وَقَصَرَ الْمَلِكِ وَسَائِرُ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ مَنَازِلِ الْعُظَمَاءِ.
وَهَدَمَتْ جُيُوشُ الْكِلْدَانِيِّينَ الَّتِي تَحْتَ إِمْرَةِ رَئِيسِ الْحَرَسِ
الْمَلِكِيِّ جَمِيعَ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ، وَسَبَى بُوْزَرَادَانُ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ
الَّذِي بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ، وَالْهَارِبِينَ الَّذِينَ لَجَأُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ
وَيَسَواهُمْ مِنَ السُّكَّانِ ... وَحَطَمَ الْكِلْدَانِيُّونَ أَعْمَدَةَ النُّحَاسِ
وَبَرَكَةَ النُّحَاسِ الَّتِي فِي بَيْتِ الرَّبِّ، وَنَقَلُوا نُحَاسَهَا إِلَى بَابِلَ.
وَأَسْتَوَلُوا أَيْضاً عَلَى الْقُدُورِ وَالرُّفُوشِ وَالْمَقَاصِّ وَالصُّحُونِ
وَجَمِيعِ آتِيَةِ النُّحَاسِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَعْدَمُ فِي الْهَيْكَلِ. وَكَذَلِكَ
الْمَجَاسِرِ وَالْمَنَاضِحِ. كُلُّ مَا كَانَ مَصْنُوعاً مِنْ ذَهَبٍ أَخَذَهُ قَائِدُ
الْحَرَسِ الْمَلِكِيِّ كَذَهَبٍ، وَمَا كَانَ مَصْنُوعاً مِنْ فِضَّةٍ كَفِضَّةٍ ...
وَهَكَذَا سَبَى شَعْبُ يَهُوذَا مِنْ أَرْضِهِ.

فقلت: أيها الأبدي، هو ذا الشعب الذي يخرج من نسلي وقد رضيتَ عنه ينهب الفجار، فمنهم من قُتل ومنهم من سُبي ليكون عبداً، والميكل قد أحرقوه بالنار، وما فيه من حسنٍ سرقوه ودمروه. إن كان هذا سيكون، فلم صدّعت قلبي؟ فقال لي: "ما رأيته سيكون بسبب ذريتك، أولئك الذي يفضيوني بتمثال الصنم الذي رأيت، وبسبب القرين البشري في الصورة، ويغيرتهم في فعل الشر ومكرهم في الميكل، فكما رأيت سيكون."

هنا يأل إبراهيم ~~التي~~ الرب أن يريه ما يخفف به حزنه مما يصيب ذريته بسبب ما أحدثوه من عبادة للأوثان، فيأل عن أهل الإيمان الذين يأتّمرون بأمر الله ويتهون بنهيه.

فقلت: "أيها الأبدي القادر! لتصرف الآن أعمال الشر هذه التي عُمِلت كُفراً، ولكن أرنى الذين ائتمروا بوصاياك، بأعمال البر، فإنك على ذلك قادر."

فقال لي: "إن أيام البر تُرى أنماطاً بحياة أولئك الحكام الأبرار الذين سيقومون، الذين خلقتهم ليحكموا في أزمنة موقوتة. لكن اعلم أنه سيقوم منهم آخرون لا يحكمهم إلا مصالحهم، من نمط أولئك الذين أرتكّبتهم."

٢٨ . فأجبت قائلاً: "أيها القادر تقدس سلطانك! هني سؤلي وأرن، فإنك لهذا أحضرتني هنا، أيجري لهم ما أرتبه زمناً طويلاً؟".

فأراني حشداً من شعبه وقال لي: "بسيهم، في منازل أربع كما رأيت سأغناظ منهم، وفيها سيحق عليهم عقابي. وفي المنزلة الرابعة لمائة عام، التي هي ساعة من الدهر، أي مائة عام، سيكونون في نكبة بين الأمميين، ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأمميين".

هذه الفقرة أشكلت على كثير من الشراح بسبب اختلافهم في ترجمة الكلمة السلافية (schody). فذهب البعض إلى أن معناها "الجموع" كما صنع «كوليك»^(١)؛ وآخرون آثروا ترجمتها بالـ "الأجيال"، وفريق ثالث زعموا أن المراد بها الـ "مداخل".^(٢) لكن أحداً لا يخالف أن معنى الكلمة الأصلي هو "درجة" أو "منزلة".

لكننا إذا أمعنا النظر في الفقرة نجد أن كلمة (schody) تأتي

(1) Alexander Kulik. *Retroverting Slavonic Pseudepigrapha* (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2004), p. 30.

(2) G. H. Box. *The Apocalypse of Abraham* (London: The Macmillan Company, 1918), p 76.

لتعبر عن مرحلة زمنية، وهذا يستبعد ترجمة «كوليك» "وفي الجُمع الرابع هناك مائة عام" لأنها لا تناسب السياق ولا تحمل معنى مفيداً. وأما ترجمة «بوكس» "في أجيال أربعة" فإنها، على الرغم من احتمالها، ليست دقيقة.

والصواب - والله أعلم - أن النص يصور المدة التي بين السبي البابلي، الذي هو بداية زمن الفجور، إلى زمن الرحمة والعز على هيئة "درجات" أربع نزولاً (descents)، كل خطوة تتألف من مائة عام. وفي الدرجة الرابعة، أو المائة الرابعة، من الأسر البابلي سيصاب بنو إسرائيل بنكبة - أو "شر" كما في بعض الترجمات - بين الأعمين (الوثنيين)، وسيستمر هذا لساعة من الدهر أو مائة عام. ونحن إذا نزلنا من السبي البابلي ٥٨٦-٥٣٩ ق.م أربع درجات فإننا سنصل إلى ما بين ١٨٦-١٣٩ ق.م فما هي "النكبة" التي أصابت اليهود في هذه المرحلة؟

في ١٧٥ ق.م جلس الطاغية السلوقي «أنطيوخس إيفانيس الرابع» على عرش الإمبراطورية السلوقية. وكان منهمكاً في حروبه مع المصريين. لكنه لما عاد ذات مرة، بعد أن أشيع أنه مات في إحدى المعارك، أخبر بمحاولة انقلاب قام بها كبير كهنة اليهود الأسبق

«ياسون» الذي كان «أنطيوخس» قد عزله وعين مكانه «منلاوس»، فكانت النكبة على اليهود. يحدثنا سفر المكابيين الثاني قائلاً:

فلما بلغت الملك هذه الحوادث، اتهم اليهود بالانتقاض عليه؛ فزحف من مصر وقد تنمر في قلبه وأخذ المدينة [القدس] عنوة، وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة، ويذبحوا المختبئين في البيوت. فطفقوا يهلكون الشبان والشيوخ، ويبيدون الرجال والنساء والأولاد، ويذبحون العذارى والأطفال، فهلك ثمانون ألف نفس في ثلاثة أيام، منهم أربعون ألفاً، في المعركة، وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتل. ولم يكتف بذلك، بل اجتراً ودخل الهيكل الذي هو أقدس موضع في الأرض كلها، وكان دليله منلاوس الخائن للشرعة والوطن، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين، مع ما أهدته ملوك الأجانب لزيينة الموضع وبهائه وكرامته، وقبض عليها بيديه النجستين ومضى ... وحمل أنطيوخس من الهيكل ألفاً وثمان مئة قنطار، ويادر الرجوع إلى إنطاكية، وقد خيل إليه كبرياؤه وتسامخ نفسه أنه يقطع البر بالسفن والبحر بالقدم وترك عمالاً يراغمون الأمة، منهم فيلبس في اورشليم

وهو فريحي الأصل، وكان أشرس أخلاقاً من الذي نصبه،
 وأندرونكس في جرزيم، وأيضاً منلاوس الذي كان أشد
 جوراً على الرعية من كليهما. ثم حمله ما كان عليه من المقت
 لرعايا اليهود، على أن أرسل أبلونيوس الرئيس البغيض في
 اثنين وعشرين ألف جندي، وأمره أن يذبح كل بالغ منهم
 ويبيع النساء والصبيان. فلما وفد إلى أورشليم أظهر السلام،
 وتربص إلى يوم السبت المقدس، حتى إذا دخل اليهود في
 عطلتهم، أمر أصحابه بأن يتسلحوا، وذبح جميع الخارجين
 للتفرج، ثم اقتحم المدينة بالسلاح، وأهلك خلقاً كثيراً. [٢
 مكابيين ٥].

ثم يتحدث الإصحاح التالي عن محاولة «أنطيوخس» طمس
 معالم اليهودية فيقول:

وبعد ذلك ييسر أرسل الملك شيخاً أثينياً، ليضطر اليهود أن
 يرتدوا عن شريعة آبائهم ولا يتبعوا شريعة الله، وليدنس هيكل
 أورشليم ويجعله على اسم [الإله اليوناني] زوس (Zeus) ...
 وامتلاً الهيكل عُهرًا وقصوفاً ... وكان المذبح مغطى بالمحارم
 التي نهت الشريعة عنها. ولم يكن لأحد أن يعيد السبت، ولا

يحفظ أعياد الآباء، ولا يعترف بأنه يهودي أصلاً. وكانوا كل شهر، يوم مولد الملك، يساقون قسراً للتضحية، وفي عيد [الإله اليوناني] ديونيوس (Dionysius) يضطرون إلى الطواف إجلالاً له، وعليهم أكاليل من اللبلاب. وصدر أمر إلى المدن اليونانية المجاورة بإغراء البطالة أن يلزموا اليهود بمثل ذلك وبالتضحية، وأن من أبى أن يتخذ السنن اليونانية يُقتل، فذاقوا بذلك أمر البلاء. [٢ مكابيين ٦].

ولأنما أوردت هذه الاقتباسات الطويلة نسبياً لبيان أن هذه "النكبة" التي أصابت اليهود في زمن الإمبراطور «أنطيوخس» لم تكن أمراً هيناً، بل هي جديرة بأن تكون النكبة المشار إليها في رؤيا إبراهيم التي نحن بصدددها. فهي تزيد عن السبي البابلي في إكراه الناس على ترك دينهم واعتناق دين اليونان الوثنيين.

غير أن الرؤيا تشير إلى أن هذه النكبة مستتضي وسيعقبها مجد لليهود لساعة من الزمن، أي مائة عام كما مر بنا. يقول النص: "سيكونون في نكبة بين الأمم، ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأمم". وهذا ما حدث بالفعل، فبعد تلك النكبة على يد الإمبراطور «أنطيوخس الرابع» قام المكابيون اليهود بثورتهم

ضد الإمبراطورية السلوقية، وأسروا دولة الحشمونيين K واستقل اليهود في فلسطين من عام ١٦٥ ق.م إلى عام ٦٣ ق.م، أي ١٠٢ عام (ساعة من الدهر). وهذه هي الساعة التي عبّر عنها النص بقوله "ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأعميين".

انقضت ساعة الرحمة والعز في عام ٦٣ ق.م عندما غزت دولة الحشمونيين من قبل الروم، فتفككت ثم أصبحت تابعة للروم ولم نعم لليهود بعد قائمة، حتى الميروديون اليهود العملاء حكموا فلسطين تبعاً للروم لا استقلالاً. وهكذا استؤنف زمن الفجور بعد أن عز اليهود ساعة من الدهر. فتساءل إبراهيم عليه السلام:

٢٩ . فقلت: أيها الأبدي! كم هي ساعات الدهر؟ فقال: انتهي عشرة ساعة كتبت لزمن الفجور الحاضر أن يتسلط على الأعميين وعلى ذريتك، وإلى نهاية الأزمان سيكون كما رأيت.

فzمن الفجور الذي بدأ بالسبي البابلي سيستمر انتهي عشرة ساعة (أي ١٢٠٠ عام) قبل أن يأتي الخلاص. هنا يخاطب الرب إبراهيم ليتنبه إلى القادم فيه الفرج الذي كان يتظره. قال له الرب:

والآن احسب وانظر في الصورة ثانية!

[يقول إبراهيم:] فنظرت ورأيت رجلاً يخرج من الشمال ناحية الأيمن. وخرج رجال ونساء وأطفال من ناحية الأيمن، جموع غفيرة، وعبدته [أو "بجلته"].

إن هذا النص بحاجة إلى تأمل. فقد ذهب الكثرة الكاثرة من علماء أهل الكتاب إلى أنه وما بعده من إقحام النصارى وليس من أصل الرؤيا. يقول «روبرت هول» في دراسة له بعنوان «الإقحامات النصرانية في رؤيا إبراهيم»: "منذ اكتشاف «رؤيا إبراهيم» ودارسوها يخرجون كل الفقرات ٢٩: ٣-١١ باعتبارها تعليقاً نصرانياً."^(١)

والسبب الداعي إلى فرضية الإقحام هذه ما ورد في وصف الرجل المخلص في الفقرة من أنه سيعبد من قبل كثير، وأنه سيؤذى من قبل اليهود (الذين من ناحية اليمين). لكن المحك الذي يحيد عنه شراح الرؤيا هو أن الرجل المخلص يخرج من غير اليهود، من ناحية الشمال كما يصرح النص. لهذا علق «بوكس» على الفقرة بقوله "واضح

(1) Robert G. Hall. "The 'Christian Interpolation' in the Apocalypse of Abraham," in *Journal of Biblical Literature* (The Society of Biblical Literature, March, 1988), vol. 107, No. 1, pp. 107-110.

أن الرجل يراد به يسوع [عيسى عليه السلام]. لكن ظهوره "عن شمال الأعمىين" مثير للاستغراب^(١)

وأقول لـ «بوكس» ومن ذهب مذهبه: القول بأن المقصود من هذه الفقرة «يسوع المسيح» باطل؛ لأن عيسى عليه السلام لم يكن من الأعمىين بل كان من بني إسرائيل باتفاق الملل. ولو أنكم حين استنكرتم خروجه من بين الأعمىين بحتم في غير بني إسرائيل لوجدتم، ولكان أقرب للإنصاف. وهأنذا أقول لكم من هو هذا الرجل الذي لم يمنعكم من ذكر اسمه إلا كتمان الحق كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذْتُمْ أَلَكْتَبَ يَفْرُقُونَهُ كَمَا يَفْرُقُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَلَئِنْ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]. إن هذا المخلص هو خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورحمة الله للعالمين، محمد ﷺ؛ وهاكم الأدلة على ذلك:

أولاً: لما سأل إبراهيم ربه عن مدة ساعات البلاء وزمن الفجور، أجابه الرب: "انتي عشرة ساعة كتبت لزمن الفجور الحاضر أن يتسلط على الأعمىين وعلى ذريتك." وزمن الفجور كما يتنايداً من تسلط البابليين على بني إسرائيل وإحراق المسجد الأقصى (الميكال الأول) عام ٥٨٦ ق.م. والساعة في هذه الرؤيا تعبر عن ١٠٠ عام كما

(1) G. H. Box. The Apocalypse of Abraham, p 78.

تفسره الرؤيا نفسها. فإن أردنا أن نعلم زمن ظهور هذا الرجل المخلص فما علينا إلا أن نحسب ألفاً ومائتي عام (١٢٠٠ = اثنا عشرة ساعة) من تاريخ بدء زمن الفجور؛ حينها سنجد أنفسنا تماماً عند عام ٦١٤م! والدنيا كلها تعلم أن بعثة المصطفى ﷺ كانت عام ٦١٠م أو ٦١١م بعد أربعين عاماً من مولده المبارك (٥٧٠م أو ٥٧١م)، وهذا الفرق اليسير جداً بين التاريخين مرده إلى أن الرؤيا توظف الساعات (القرون) لحساب الزمن مما تتعذر معه الدقة، ولا أحب أحداً يماري في هذا إلا أن يكون مكابراً. وأين هذا من بعثة عيسى ﷺ التي كانت قبل ذلك بستمئة عام؟

ثانياً: يظهر من الأحداث التي تستعرضها الرؤيا التركيز على النكبات التي أصابت بني إسرائيل في أثناء زمن الفجور؛ فكان من المنطوق أن يكون المخلص لهم قادراً على نصرتهم وإلا لم يكن «فَرَجاً» كما تصفه الرؤيا. وعيسى ﷺ لما دعا بني إسرائيل إلى الله آمن به طائفة وكفرت طائفة، لكنه ما كان يملك من الشوكة ما يتصدى به لطغيان الروم وأعوانهم من اليهود الكفرة الذين حاولوا قتله فأنجاه الله منهم. وأما محمد ﷺ فزعزعه الله به عروش الأكاسرة والقيصرة كما شهد بذلك أعداؤه قبل أتباعه. قال ابن كثير في تفسير قول تعالى: ﴿فَنَاصَتْ ظُلُمَةُ رَبِّنَا نَبِيَّ وَكَفَّتْ ظُلُمَةُ﴾ [الص: ١٤]:

أي: لما بلغ عيسى بن مريم عليه السلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود - عليهم لعائن الله المستابعة إلى يوم القيامة - وغلت فيه طائفة ممن اتبعه، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، واقتروا فِرَقاً وشيعاً، فمن قائل منهم: إنه ابن الله؛ وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس؛ ومن قائل: إنه الله ... وقوله: ﴿فَلْيَقُلْ الَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ وَدَّعُوا عَدُوهُمْ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فِرَق النصارى، ﴿فَلْيَصْبِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: عليهم، وذلك ببيعة محمد صلى الله عليه وسلم.^(١)

فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أنقذ الله به أهل الأرض من كفر الكافرين وبطش الجبارين حتى صار أهل الإيمان فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. ثالثاً: عيسى عليه السلام - بزعم النصارى - لم يخلص البشر إلا باعتباره إلهاً أو ابناً لله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فلا يناسب وصفه بالرجل كما في هذه الرواية.

(١) تفسير ابن كثير، ٨ / ٨٦.

رابعاً: لم يكن المسيح عليه السلام من "الأميين" بل من بني إسرائيل. والرؤيا تصرح بخروج هذا الرجل من بين الأميين بل تؤكد أكثر من مرة. فتقول في أوله "يخرج عن شمال الأميين"، ثم تؤكد بوصفها له بـ "الفَرْج" الذي يهبه الأميون للشعب الذي يكون من نسلك. فتحديد مخرج المخلص من الأميين ليس من سهو الكاتب، بل هو مما يعضد ما ذهبنا إليه من تحديد زمانه، وهنا تحديد جهته.

أخيراً: لفظ "عبدوه" في النص لا يعني العبادة الحقيقية وإنما التبجيل وتعلق القلب. يدل على ذلك ترجمة «كوليك» النقدية التي نقلت النص هكذا: "ومن رأيتهم يخرجون من ناحية الشمال من الصورة وأولئك الذين يعبدونه، معناه: أن كثيراً من الأميين سيعلقون به آمالهم." فلا حجة فيه إذن على أن المراد عيسى عليه السلام.

بقي أمر مهم وهو أن عدداً من علماء أهل الكتاب أنكر أن يكون النص مقحماً من قبل النصاري. يقول أحد مترجمي الرؤيا إلى الإنجليزية «ريزارد روبنكفينس» في المقال الذي كتبه لـ «قاموس أنكور الكتابي» بعنوان "رؤيا إبراهيم":

إن رؤيا إبراهيم ٢٩: ٤-١٣ تبرز مشكلة من نوع خاص. فالمرء عادة يفترض أن الرجل الذي "يخرج من الشمال، ناحية الأيمن" ... يمثل شخصية يسوع. لذا زعم بعض النقاد أن هذه الفقرة من إتحام النصارى، أو لعلها "نظرة يهودية ليسوع باعتباره رسولاً إلى الأيمن" (EncJud ١: ١٢٥-٢٧). لكن التحليل الدقيق للرؤيا يدل على أصالتها وأنها "لا تتعلق بنظرة النصارى ليسوع، بل تستدعي «الوحش» في رؤيا يوحنا ١٣: ١-٤" (Hall ١٩٨٨). الرجل الأيمن يمكن أن يمثل الإمبراطور الرومي.^(١)

وكلام «رونيكفيتس» هذا تُعرف منه وتُكرر. فزعمه أن الرجل الأيمن يُذكرنا بالوحش في رؤيا يوحنا أو أنه الإمبراطور الرومي، بعيد كل البعد؛ لأن الرؤيا صريحة في أن هذا الرجل سيكون مبعثه فرجاً لأهل الأرض لا مصدراً لاضطهادهم وقمعهم.

أما قوله بأصالة النص، فإن كان المقصود منه أن ينبغي كون النص مقحماً بأكمله من قبل النصارى فهو كلام يؤيده فيه غيره من العلماء من أمثال «روبرت هول» وغيره، وهو كلام معقول، إذ لا حجة

(1) The Anchor Bible Dictionary, vol. I, p. 42.

لمن زعموا أنه مقحم إلا عجزهم عن تفسير النص بشكل يستقيم مع السياق. وما ذكرته أعلاه من مناسبه لحال عهد ﷺ ينفي هذا الزعم الذي لا يقوم على دليل. وأما التحريف الجزئي للنص فممكن كما سأبينه بعد قليل.

وبينما كنت أنظر إذ جاء كثرة من ناحية اليمين، فمنهم من شتمه، ومنهم من ضربه، لكن آخرين بجّلوه.

هذا موقف اليهود من المبشر به في الرؤيا: فلان منهم من عاداه وهم الكثرة الكاثرة، ومنهم من بجّله وأطاعه وهم قلة جداً.

من أمثلة الفريق الأول ما جاء في قصة صفية بنت حيي بن أخطب - رضي الله عنها - أنها قالت: كنتُ أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر؛ لم ألْقَهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حييُّ ابن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلّسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كائناً كسلايين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم. قالت: وسمعت عمي أبا

ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم! قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.^(١)

بل تجاوز الأمر مجرد العداء إلى محاولة قتل المصطفى ﷺ كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودٍ! فَجُمِعُوا لَهُ... ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ مَنِيٍّ؟ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: مَا مَحَلُّكُمْ عَلَى ذَلِكَ. قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا تَسْرِيحُ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ.^(٢)

وقد بقي أثر هذا السم إلى أن مات صلوات الله وسلامه عليه كما في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَا عَائِشَةُ مَا أَرَأَى أَجْدُ أَلَمْ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرٍ فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ."^(٣)

(١) سيرة ابن هشام، ٥١٩/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجزية، حديث رقم ٢٩٩٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

كما حاول بنو النضير من اليهود اغتيال النبي ﷺ فأعلمه جبريل
ﷺ: وكان ذلك سبباً في جلائهم.

أما شتمهم آياه ﷺ فمعلوم؛ من ذلك ما ذكره ابن إسحاق من
أنه لما سار علي بن أبي طالب برأيه إلى بني قريظة ودنا من الحصون
سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله
ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء
الأخابث. قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول
الله. قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً.^(١)

وقد كانوا يشتمونه في أشعارهم كما صنع كعب بن الأشرف،
وكانوا إذا سلموا عليه قالوا: "السام عليكم"^(٢)، والسام هو الموت،
وإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا! ورؤوا فقالوا: "راعنا" من الرعونة،^(٣)
وغیره كثير.

أما الفريق الثاني - أعني من صدق برسالته ﷺ واتبعه - فخير
مثال عليه قصة الصحابي الجليل عبد الله بن سلام ؓ كما رواها

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ١٥٦٨٣ وصحيح مسلم، كتاب
السلام، حديث رقم ٢١٦٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٢٥.

البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال:

”بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَنْ أَيْ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمَنْ أَيْ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخَوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَبَرَنِي بَيْنَ آتِنَا جِبْرِيلُ. قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَخْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ؛ وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيزَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ؛ وَأَمَّا الشَّيْءُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا عَشِيَ الْمَرْأَةُ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّيْءُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّيْءُ لَهَا. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بَهْتٌ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَهْشُرُونِي عِنْدَكَ. فَجَاءَتْ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْيَتَّى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخِيرُنَا وَابْنُ أَخِيرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ. فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالُوا: شَرَرْنَا وَابْنُ شَرَرْنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ. ^(١)

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣١٥١.

ومن مشاهير من أسلم من اليهود السموأل بن يحيى المغربي صاحب كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود»، وسعيد بن الحسن الإسكندراني صاحب كتاب «مسالك النظر في نبوة سيد البشر ﷺ».

فهذا موقف اليهود من رسالة خاتم النبيين؛ منهم من عاداه وشتمه بل حاول قتله، وقليلون بجّلوه واتبعوا النور الذي أنزل معه.

وبينما كنت أرقب إذ رأيت عزازيل يقترب منه فقبله على وجهه ووقف خلفه.

تُقسم «الموسوعة اليهودية» الشياطين إلى قسمين: «سعيريم» و«شبيديم»، ثم تُعرّف الـ «سعيريم» بأنهم "مطابقون للجن الموجودين في غابات الجزيرة العربية وصحاريها... وإلى هذه الفئة ينتمي عزازيل".⁽¹⁾ يؤكد هذا ما رجحه «قاموس أنكور الكتابي» من أن «فهم «عزازيل» على أنه لقبٌ لشخصية شيطانية هو أكثر الآراء معقولةً». ⁽²⁾

(1) Jewish Encyclopedia (1906), p. "Demonology".

(2) The Anchor Bible Dictionary, "Azazel" vol. I, 536.

وهناك الكثير ممن يرجح أنه إبليس ذاته.^(١)

وهذه الأفهام قريبة مما يعتقد المسلمون في إبليس، فهو من الجن كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]. أما كونه أصل الجن فقد وردت به آثار عن السلف؛ قال ابن جرير في تفسيره: "... عن الحسن قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس."^(٢) وقد صحح إسناده ابن كثير في تفسيره.^(٣)

فالحديث عن عزازيل إذن هو حديث عن الجن، وتقبيله النبي الذي يُبعث في آخر الزمان ووقوفه وراءه كناية عن قبول الجن لدعوته. ويكفي في بيان هذا قول الحق تبارك وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَتَسَوِّتُونَ الْفُرَّةَ أَن لَّمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ۖ ﴿٢٠﴾ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا كُتُبًا أَنْزَلَ

(١) انظر حل سبيل المثال:

Louis Herbert Gray. *Mythology of All Races*, 1931, p. 532.

Rosemary Guiley. *Encyclopedia of Angels*, 2004, p. 61.

Rabbi Leo Jung. *Fallen Angels in Jewish, Christian and Mohammedan Literature*, 2003, p. 61.

(٢) تفسير الطبري، ١/ ٢٩٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ١٨٧.

مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرَفٍ مُنْتَفِعٍ
 ﴿٣٠﴾ يَقُولُ لِمَنْ دَعِيَ اللَّهُ وَإِسْمَاءُ بِهِ يَفْضَرُ لِحُكْمٍ مِنْ دُونِكُمْ وَمِنْكُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ
 دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أَزَلَّكَ فِي سَكَلٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ (الأحقاف: ٢٩-٣٢).

كما فصل الله كلام الجن في سورة سميت باسمهم فقال تعالى:
 ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾
 يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿١﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا
 اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٢﴾ [الجن: ١-٣] إلى أن قال جل شأنه على لسان
 الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ مَأْمَنَّا بِهِ، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ، فَلَا يَخَافُ بَخْسًا
 وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال
 رسول الله ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ".
 قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَلِيَّائِي، إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ
 فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ".^(١)

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم ٢٨١٤.

وقد خلط علماء أهل الكتاب أياً خلط في تفسير مساندة عزازيل للنبي الموعود في هذه الفقرة، حتى إن بعضهم ظن أنه المسيح الدجال، أو دجال من الدجاجلة على الأقل. وسبب هذا عدم اعترافهم بنبو محمد ﷺ، وإلا لما صعب عليهم فهم المراد.

ثم تشرع الرؤيا في تفسير ما رآه إبراهيم عليه السلام من شأن الرجل الموعود به بعد سؤاله عن حاله:

فقلت: أيها الأبدي! من الرجل الذي تُسَمُّه وضرب، وبجمله الأمميون وقبَّله عزازيل؟ فأجاب قائلاً: "اسمع يا إبراهيم! إن الرجل الذي رأيته يُسَمُّه ويضرب لكن يجعله الكثير هو «الفرج» الذي يهبه الأمميون للشعب الذي يكون من نسلك، في الأيام الأخيرة، في الساعة الثانية عشرة من زمن الفجور".

فهو النبي الذي جعله الله رحمة للخلق، وكان أكثر أتباعه من غير اليهود، فإنه لم يسلم منهم إلا القليل؛ وكان مولده في السنة السادسة والخمسين بعد المائة والألف (١١٥٦) من تاريخ السبي البابلي، بداية زمن الفجور؛ وكان مبعثه في السنة السادسة والتسعين بعد المائة والألف (١١٩٦) من ذلك التاريخ. فميلاده ومبعثه في الساعة الثانية

عشرة (القرن الثاني عشر) من زمن الفجور؛ فهل بقي لأحد أن يرتاب في أنه سيد ولد آدم محمد ﷺ؟

لكن الرؤيا تضيف نصاً مريباً فتقول:

ولكن في الساعة الثانية عشرة من زمانٍ الأخير، سأقيم هذا الرجل من جيلك، الذي رأيته يخرج من شعبي، وكل من اتبع سيصبح مثل هذا الرجل، وأما الذين جعلتهم لنفسي فسيتحقون بالآخرين، أولئك الذين يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم.

إن كان ثمة فقرة في هذه البشارة لم تسلم من التحريف فهي هذه. دليل ذلك أنه بعد التصريح الجلي بأن المخلص يكون من الأميين، وأنه هبة الأميين لغيرهم؛ عاد ليقول إنه "يخرج من شعبي" يعني اليهود أو بني إسرائيل. وهذا تعارض ظاهر. لهذا علق ريزارد روبنكفيتس^١ على الفقرة بقوله (نقلاً عن «هول»): "لا بد وأن تؤخذ باعتبارها تفسيراً مقحماً من أحد النصاري".^(١) ولا شك أنها محاولة لصرف البشارة عن محمد ﷺ العربي إلى عيسى عليه السلام الذي هو من بني إسرائيل.

(1) The Anchor Bible Dictionary, vol. I, p. 42.

وأما أولئك الذين يظهرون من ناحية الشمال من الصورة فمعناه: أن كثيراً من الأمم يعلقون رجاءهم به. أما الذين رأيتهم من ذريتك على يمين الصورة ممن شتموه وضربوه، فكثيرون يتأذون به، لكن البعض سيبجله. وسيمتحن من ذريتك أولئك الذين بجلوه في الساعة الثانية عشرة في المنتهى طمعاً في أن يقصر زمن الفجور.

ولا شك أن اليهود تأذوا عندما تيقنوا أن نبي آخر الزمان من العرب الأعميين وليس منهم. وقد سبق الحديث عن شأنهم معه ﷺ.

ختاماً بعد أن قُـرِئَت الرؤيا وفقاً لما أرى أنه الصواب، ها أنا أورد نصها دون تجزئة حتى يستوعب القارئ الفقرات في سياقها.

وقلت: "أيها الأبدي القادر! من هم الناس في هذه الصورة في هذا الجانب وذاك؟"

فقال لي: أما الذين عن الشمال فكل الذين وُلدوا قبل يومك وبعده، منهم من كُـتِبَ له الحكم والصلاح، وآخرون الانتقام والمحق في آخر الزمان. وأما الذين عن يمين الصورة فهم الذين جعلتهم لنفسي، وقضيت أن يولدوا من صُلبك، ودَعَوْتُهُم شُعبي. حتى بعض أولئك الذين من عزازيل.

ورأيت هنالك مثل صنم الغيرة، منحوت من الخشب، كذاك الذي اعتاد أبي صنعه، وكان جسده من النحاس اللامع يغطي الخشب. ورأيت أمامه رجلاً يعبد الصنم، وكان قدامه مذبح، وعلى المذبح غلام مذبح بين يدي الصنم. فقلت له: "ما هذا الصنم وهذا المذبح، ومن ذلك القربان؟ وما هذا البناء العظيم الذي أرى حسن الصنع والصورة، حُسنه كذاك الذي تحت عرشك؟"

فقال: "اسمع يا إبراهيم، إن الذي تراه هو الهيكل، نسخة من الذي في السماوات، جليل في هيئته وحسنه، أعطيه لبني آدم ليرسموا كهنوتاً لاسمي المجيد، وتقام فيه صلوات الناس، وتقدم فيه القربان كما أمر قومك، أولئك الذين يقومون من جيلك. أما الصنم الذي رأيت فتمثال الغيرة، ينصبه بعض من يخرج من صلبك في آخر الأيام. وأما الإنسان الذي يسفك الدماء قرباناً فذاك الذي يدنس هيكلي، وأولئك شهود على الدينونة الآخرة، ونصيبهم مقدر منذ بدء الخليقة...".

فنظرت وإذا الصورة تميل، وقد ظهر منها من ناحية الشمال قوم فجَّار فسلبوا الذين عن اليمين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، فمنهم من قتلوا ومنهم من سبوا. ورأيتهم يركضون وراءهم من أربعة منازل، فأحرقوا الهيكل بالنار، ونهبوا كل ما فيه من المقدسات. فقلت: "أيها

الأبدي، هو ذا الشعب الذي يخرج من نسلي وقد رضيت عنه بنهبه
الفجار، فمنهم من قُتل ومنهم من سُبي ليكون عبداً، والهيكل قد
أحرقوه بالنار، وما فيه من حسن سرقوه ودمروه. إن كان هذا سيكون،
فلم صدعت قلبي؟

فقال لي: "ما رأيته سيكون بسبب ذريتك، أولئك الذي
يغضبونني بتمثال الصنم الذي رأيت، وبسبب القريان البشري في
الصورة، وبغيرتهم في فعل الشر ومكرهم في الهيكل، فكما رأيت
سيكون."

فقلت: "أيها الأبدي القادر! لتصرف الآن أعمال الشر هذه التي
عُملت كُفراً، ولكن أرنى الذين ائتمروا بوصاياك، بأعمال البر، فإنك
على ذلك قادر."

فقال لي: "إن أيام البر ترى أنها طأ بحياة أولئك الحكام الأبرار
الذين سيقومون، الذين خلقتهم ليحكموا في أزمنة موقوتة. لكن اعلم
أنه سيقوم منهم آخرون لا يهمهم إلا مصالحهم، من نمط أولئك الذين
ارتكبهم."

فأجبت قائلاً: "أيها القادر! تقدس سلطانك! هبني سؤلي

وأري، فإنك لهذا أحضرتني هنا، أيجري لهم ما أرتيه زمناً طويلاً؟"

فأراني حشداً من شعبه وقال لي: "بسيهم، في منازل أربع كما رأيت سأغتاظ منهم، وفيها سيقع عليهم عقابي. وفي المنزلة الرابعة لمائة عام، التي هي ساعة من الدهر، أي مائة عام، سيكونون في نكبة بين الأيمن، ولكن أيضاً لساعة سيكونون في رحمة وعز بين أولئك الأيمن.

فقلت: أيها الأبدي! كم هي ساعات الدهر؟ فقال: اثني عشرة ساعة كتبت لزمन الفجور الحاضر أن يتسلط على الأيمن وعلى ذريتك، وإلى نهاية الأزمان سيكون كما رأيت.

والآن احسب وافهم وانظر في الصورة ثانية!

فنظرت ورأيت رجلاً يخرج من الشمال ناحية الأيمن. وخرج رجال ونساء وأطفال من ناحية الأيمن، جموع غفيرة، وعبدته (أو بجلته).

وبينما كنت أنظر إذ جاء كثرة من ناحية اليمين، فمنهم من شتمه، ومنهم من ضربه، لكن آخرين بجلوه. وبينما كنت أرقب إذ رأيت عزازيل يقترب منه فقبله على وجهه ووقف خلفه.

فقلت: "أيها الأبدي! من الرجل الذي شتم وضرب، ويجله الأمميون وقبّله عزازيل؟ فأجاب قائلاً: "اسمع يا إبراهيم! إن الرجل الذي رأيته يُشتم ويضرب لكن يجله الكثير هو «الفرج» الذي يبه الأمميون للشعب الذي يكون من نسلك، في الأيام الأخيرة، في الساعة الثانية عشرة من زمن الفجور.

ولكن في الساعة الثانية عشرة من زمني الأخير، سأقيم هذا الرجل من جبلك، الذي رأيته يخرج من شعبي، وكل من اتبع سيصبح مثل هذا الرجل، وأما الذين جعلتهم لنفسي فيلحقون بالآخرين، أولئك الذين يريدون أن يغيروا ما بأنفسهم.

وأما أولئك الذين يظهرون من ناحية الشمال من الصورة فمعناه: أن كثيراً من الأمم يعلقون رجاءهم به. أما الذين رأيته من ذريتك على يمين الصورة ممن شتموه وضربوه، فكثيرون يتأذون به، لكن البعض سيجله. وسيمتحن من ذريتك أولئك الذين بجلوه في الساعة الثانية عشرة في المنتهى طمعاً في أن يقصر زمن الفجور.



«عهد موسى»

«عهد موسى» The Testament of Moses اسم لأحد الأسفار المنحولة، ولا نعرفه إلا من مخطوطته اللاتينية الوحيدة التي تعود إلى القرن السادس الميلادي. لكن المخطوطة اللاتينية لا تعد أصلاً لهذا السفر، بل هي مترجمة عن نسخة سابقة يرجع أنها يونانية. يقول «جون بريست»:

من الواضح أن النص اللاتيني ترجمة لوثيقة يونانية قد تعود إلى نهاية القرن الأول الميلادي أو بداية القرن الثاني. وقد افترض أغلب محققي النص الأولين أن اليونانية هي لغته الأصلية، لكن المجمع عليه الآن هو أن النص اليوناني الذي كان بين يدي المترجم اللاتيني هو ذاته ترجمة لنص سامي. يبقى الخلاف فيها إذا كان النص السامي آرامياً أم عبرانياً، لكن الأخير أكثر احتمالاً^(١).

ثم يضيف: «إن جل ما يشته البحث الحالي هو أن النص الموجود لعهد موسى ينبغي أن يؤرخ بين السنة الرابعة قبل الميلاد وربما السنة

(١) The Anchor Bible Dictionary, "Moses, Testament of".

الثلاثين بعد الميلاد.^(١) وإذا كان النص اللاتيني المترجم عن اليونانية يعود إلى القرن الأول الميلادي، فإن الأصل العبراني أو الآرامي بلا ريب أقدم، وبناء عليه فإننا أمام وثيقة سابقة لظهور الإسلام بستمئة عام على الأقل.

النص وتفسيره:

يتحدث هذا السفر عن عهدٍ عهدَ به موسى ﷺ قيل وفاته إلى غلامه يوشع بن نون ﷺ الذي صار نبياً بعده، وهو عهد يسرد تاريخ وقد اعتمدت ترجمة «تشارلز» الإنجليزية وترجمة موسى ديب الخوري العربية. وسأتجاوز ما لا يعنينا في هذا السفر وأنتقل إلى المقصود حرصاً على الإيجاز.

يتحدث الفصل الثاني من هذا العهد عن تاريخ أسباط بني إسرائيل، ثم ينتهي بالحديث عن ضلال بني إسرائيل وتعلقهم بآلهة الأمم الوثنية قائلاً: "وسيقدمون أبناءهم قرايين لآلهة غريبة، وسينصبون الأصنام في الحرم ليعبدوها، وفي بيت الرب يصنعون الفجور، وينحتون كل أشكال البهائم، بل يأتون أموراً عظيماً."

(١) مرجع سابق.

وقد تقدم الحديث عن عبادة بني إسرائيل لآلهة الكنعانيين وغيرهم من الوثنيين، وأن ذلك كان سبباً في سخط الله عليهم فسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب من البابليين بقيادة بختنصر. وهذا ما يتحدث عنه الفصل الثالث: "وفي تلك الأيام يأتي ملك من الشرق ضدهم، وستغطي فرسانه أرضهم، وسيحرق مستعمرتهم بالنار مع الهيكل المقدس للرب، وسينهب الآنية المقدسة كلها...".

فالملك الذي يأتي من المشرق هو «بختنصر» البابلي، وقد فصلت الحديث في تدنيسه الهيكل الأول وحرقه إياه عند شرح «رؤيا أخنوخ» مما أغنى عن إعادته. ويلحظ القارئ أن السبي البابلي عام ٥٦٨ ق.م كان بالنسبة لليهود حدثاً عظيماً يؤرخ به كثيراً، كما جعل بداية لـ "زمن الفجور" في «رؤيا إبراهيم» كما رأينا.

يستهل الفصل الرابع حديثه عن «دانيال» النبي عليه السلام الذي يجثو على ركبتيه سائلاً الله تعالى أن يرفع عن بني إسرائيل ما حل بهم من بأس، فيستجيب الله دعاءه "عندها سيتذكروهم الرب بسبب الميثاق الذي عقده مع آبائهم، وسيظهر رحمته. وفي هذا الوقت سيُلهم أيضاً أحد الملوك ليشفق عليهم فيعيدهم إلى ديارهم، إلى بلدهم. عندها ستتهض بعض أقسام الأسباط وترجع إلى مكانها المحدد، وسيعيدون

بناء الأسوار.

المراد بـ "أحد الملوك" هنا هو الملك الفارسي «كورش» أو «قورش» الذي انتصر على البابليين وأعاد اليهود إلى فلسطين، وهناك أعيد بناء الهيكل وأصبح يعرف بـ «الهيكل الثاني».

لكن بني إسرائيل عادوا إلى ما نهوا عنه من عبادة آلهة الوثنيين فسلط الله عليهم قوماً آخرين يسومونهم سوء العذاب،حكام الدولة السلوقية التي سبق الحديث عنها. وقد أعرضت عن الفصلين السادس والسابع لأنها لا يثبتان على رأي جمهور علماء أهل الكتاب.

كان من أعتى ملوك الدولة السلوقية «أنطيوخس الرابع» الذي يصفه الفصل الثامن بقوله: "وسيحل عليهم [يعني اليهود] عقاب ثانٍ وغضب لم يجربوه أبداً منذ البدء وحتى هذا الزمان، حيث سيحرض ضدهم ملك ملوك الأرض، والقوي بين الأقوياء، والذي سيصلب الذين يعترفون بختانهم. والذين ينكرونه سينكل بهم وسيرمي بهم مكبلين في السجن. وستوهب نساؤهم لآلهة الأمم. وسيمالج أطفالهم أطباء أطفال سيعيدون لهم القلب. وآخرون من بينهم سيماقبون بالتكليل بهم بالنار والحديد، وسيجبرون على حمل الأصنام أمام

الشعب نجين مثل الذين يحرسونها ...".

يقول «تشارلز» في تعليقه على هذا الفصل: "إن العقاب الثاني دقيق جداً في وصف اضطهاد أنطيوخس إبيفانيس^(١) بشكل لا يحتمل إشارته إلى قارعة أخرى." "وقد نقلتُ من قبل اقتباسات طويلة في بيان هذه النكبة التي أصابت اليهود في عهد هذا الملك الطاغية. وتحدثت هناك عن قيام سلالة الحشمونيين التي نجحت في تطهير الهيكل قرناً من الزمان. وهذا ما نقرأه هنا أيضاً في الفصل التاسع.

"عندها، في هذا اليوم، سيكون هناك رجل من سبط لاوي باسم «تاكسو»، له سبعة أبناء، وسيعظمهم بهذه الكلمات: انظروا يا أبنائي، إن عقاباً يصيب الشعب، عقاب ثان عنيف ونجس، عقاب مكرر عن الأول بلا شفقة وأقسى منه. لأنه أي أمة أو أي بلد أو أي شعب كافر في نظر الرب، والمفتن بآثام كثيرة، قد عانى من هذا القدر نفسه من الشرور التي وقعت لنا؟ والآن يا أبنائي، استمعوا إلي، وانظروا ولاحظوا أن آبائنا ولا أسلافهم لم يعارضوا الله أبداً بخرق وصاياه.

(1) R. H. Charles. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Berkeley, CA: The Apocryphile Press, 2004) vol. II, p. 420.

وانتم تعلمون أن هذه هي قوتنا. فهاكم ما سنفعله: لنصم ثلاثة أيام، ولنمض في اليوم الرابع إلى مغارة في الحقل، ولنمت بالأحرى بدلاً من أن نخرق وصايا رب الأرباب، إله آبائنا. لأننا إذا عملنا ذلك ومتا فإنه سيقيم لدننا أمام وجه الرب."

لكن السفر يتقل بنا إلى نهاية الزمان، علماً أن دولة الحشمونيين قامت وانتهت قبل ميلاد المسيح (عليه السلام). يقول النص:

"عندها سيتجلى ملكوته بين الخلق كله. ويندحر الشيطان ويتلاشى الحزن معه. وعندها ستمتلى يدا الرسول رفيع القدر، وسرعان ما سيقيم لهم من أعدائهم ... لأنه سيقوم الإله العلي الخالد وحده؛ وسيظهر لكي يعاقب الأمم، ويدمر كل أصنامهم. عندها يا إسرائيل سعيلاً ستكون ...".

قبل الحديث عن تجلي ملكوت الله في آخر الزمان أود أن أبين اختلافاً جوهرياً في ترجمة قوله: "وعندها ستمتلى يدا الرسول رفيع القدر؛ وسرعان ما سيقيم لهم من أعدائهم"، وسبب الاختلاف غموض الأصل اللاتيني الذي لا نمتلك غيره. فتشارلز مثلاً يترجم الفقرة بقوله: "ثم ستمتلى يدا الملاك الذي عين رئيساً؛ وسرعان ما

سيستقم لهم من أعدائهم.^(١) أما ترجمة الخوري العربية - عن الفرنسية - فتقول: "وعندها سيؤلّى المرسل، المستقر في الأعالي؛ وسرعان ما سيستقم لهم من أعدائهم".

نلاحظ أنه لا فرق بينهما في ترجمة النصف الثاني من الفقرة، أما النصف الأول فظاهر الاختلاف؛ وهذا يُحتم علينا الاستعانة بالنص اللاتيني الأصلي. يقول النص اللاتيني:

Tunc implebuntur manus nuntii qui est in summo constitutes, qui protinus vindicavit illos ab inimicis eorum^(٢).

ومعناه الحرفي: "ثم ستُملأ يدا الرسول الذي وُضع في علو، الذي سرعان ما انتقم لهم من عدوهم."

(1) "Then the hands of the angel shall be filled Who has been appointed chief, And he shall forthwith avenge them of their enemies."

(2) Otto Fridolinus Fritzsche. Libri Veteris Testamenti: Pseudepigraphi Selecti (Lipsiae: F. A. Brockhaus, 1871), p. 151.

فدل هذا على أن كلمة "ملاك" في ترجمة «تشارلز» مجانبة للصواب، وأن كلمة "مُرسل" في الترجمة العربية أكثر دقة. لكن "الذي وُضع في علو" تظل مثار جدل؛ فالنسخة العربية - المترجمة عن الفرنسية - فهمت فيما يبدو أن العلو هنا هو السماء فترجمتها "المستقر في الأعالي". أما «تشارلز» ففهم منها الرفع في القدر لا حقيقة المكان، فترجمها "الذي عُين رئيساً"، وأرى - والله أعلم - أن الأقرب ترجمتها بـ "رفيع القدر" أو "ذي المكانة" أو نحوهما. فيصير النص: "وعندها ستمتلي بدا الرسول رفيع القدر؛ وسرعان ما سيقيم لهم من أهدائهم".

ثم يحدد موسى عليه السلام الملة بين موته ومجيء الرسول الخاتم رفيع القدر، فيقول: "وأنت يا يوشع (بن) نون، احفظ هذه الكلمات وهذا السفر؛ لأنه من موتي إلى مجيئه سيكون مائتان وخمسون زمناً. وهذا هو مجرى الأزمنة كما ستحل حتى تنتهي. أما أنا فسامضي لأرقد مع آبائي. ولهذا كن قوياً وشجاعاً، أنت يا يوشع بن نون، لأن الرب اختارك لتكون خليفتي في الميثاق نفسه."

نحن إذن أمام محك صارم لتحديد زمن تجلي ملكوت الله واندحار الشيطان، وظهور الرسول رفيع المكانة. فهذه الفقرة تعطينا إطاراً زمنياً دقيقاً على غرار ما سبق في «رؤيا أخنوخ» و«رؤيا إبراهيم».

يقول موسى ﷺ ليوثع بن نون ﷺ: إن من موته إلى زمن مجيئه، أي مجيء ملكوت الرب أو الرسول، مدة قدرها ٢٥٠ زمناً. فما المقصود بالزمن هنا: سنون أم عقود أم قرون؟

جلُّ علماء أهل الكتاب على أن المراد بالزمن هنا أسبوع من السنين، أي سبع سنين. يقول «تشارلز» في تعليقه على الفقرة: "٢٥٠ زمناً: تعني ٢٥٠ أسبوعاً سنوياً أي ١٧٥٠ عاماً." (١) ويعبر «م. ر. جيمس» عن شبه الإجماع هذا بقوله: "الأزمة هنا تؤخذ عادة على أنها أسابيع من السنين، وهذا يعطينا ١٧٥٠ [عاماً]." (٢)

ومع ذلك يذهب علماء النصارى إلى أن المشر به في الفقرة هو «المسيح» ﷺ. وهذا الإصرار من جانبهم ليس له ما يؤيده من داخل النص ولا من خارجه. فإننا لو سلمنا جدلاً أن موسى ﷺ توفي في القرن الخامس عشر قبل الميلاد - وهو التاريخ التقليدي عند أهل الكتاب -، فإننا سنجد أن مجيء النبي الموعود سيقع في القرن الثالث الميلادي، وهو تاريخ بعيد عن زمن المسيح ﷺ. وحتى لو سلمنا

(1) R. H. Charles. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament, vol. II, p. 423.

(2) M. R. James. The Biblical Antiquities of Philo (Forgotten Books, 2007), p. 289.

جدلاً أنه المسيح عليه السلام فلن يستقيم لنا تاريخ وفاة موسى عليه السلام، فإنه يصير قبل الميلاد بـ ١٧٥٠ عاماً، وهو ما لا يقبله علماء أهل الكتاب أنفسهم؛ فبطلت حججهم في الحالين.

إن الصواب في هذه المسألة اعتماد تاريخ وفاة موسى عليه السلام بناء على ما حررته سلفاً من أن خروج بني إسرائيل من مصر كان في زمن الفرعون «رعمسيس الثاني»، وعليه فإن تاريخ هلاكه هو أيضاً تاريخ الخروج. فمتى كان هلاك هذا الفرعون؟

إن المراجع الشهيرة لا تختلف كثيراً في تحديد تاريخ وفاة رعمسيس الثاني؛ فـ «قاموس أنكور الكتابي» يحدد هلاكه بعام ١٢١٢ ق.م، والموسوعة البريطانية تحلده بـ ١٢١٣ ق.م، وعلى هذين التقديرين تسير جُلُّ المراجع المعتبرة المختصة بتاريخ مصر أو العهد القديم. فإذا كان هلاك فرعون موسى عام ١٢١٣ ق.م فإن موت موسى عليه السلام كان بعد هذا التاريخ بنحو من أربعين عاماً - إذا ما اعتبرنا مدة تيه بني إسرائيل - أي في سنة ١١٧٣ ق.م أو قبلها بيسير؛ لأن دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة بعد انقضاء مدة التيه كان بعد وفاة موسى عليه السلام على يد غلامه يوشع بن نون عليه السلام كما هو معلوم.

ولتبسيط الأمر يمكن تمثيله رياضياً كالتالي:

(تاريخ هلاك فرعون) - (مدة التيه) = (تاريخ وفاة موسى ﷺ).

١٢١٣ ق.م - ٤٠ عاماً = ١١٧٣ ق.م

(تاريخ وفاة موسى ﷺ) + (المدة بين موسى والنبي الموعود)
= (زمن ظهور النبي الموعود).

١١٧٣ ق.م + ١٧٥٠ = ٥٧٧ م.

والدنيا كلها تعلم أنه ما ظهر في هذا التاريخ أعظم ولا أعز على الله ولا أصدق لساناً ولا أنقى فؤاداً ولا أنصح للعباد من رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ؛ وكان ميلاده عام ٥٧١ م، كما بشر موسى ﷺ. فإن قال محامك: هذا لا يستقيم، فيين التاريخين ستة أعوام.

قلنا: هذا من التعنت الظاهر، فإن موسى ﷺ توفي قبل انقضاء التيه، لكننا لا نعلم في أي عام على وجه الدقة حتى تدعي هذا الاختلاف، فبطل اعتراضك.

ثم يشير النص بعد تحديد زمان النبي الموعود إلى طرف من صفته، فيقول:

وسرعان ما سيتقم لهم من أعدائهم ... لأنه سيقوم الإله العلي الخالد وحده؛ وسيظهر لكي يعاقب الأمم، ويحطم كل أصنامهم.

فنته بأنه سيتصر للمؤمنين من أعدائهم الكافرين وسيحطم أصنامهم، وكان ذلك يوم فتح مكة شرفها الله، إذ أخضع الله به رقاب العرب الوثنيين، فحطم أصنامهم التي كانوا ينصبونها حول الكعبة، وأرسل أصحابه يذكرون صروح الوثنية في أنحاء الجزيرة العربية، ثم خلفه أصحابه رضوان الله عليهم فعاقبوا بقية الأمم المشركة فهزموا عبّاد الصليب في بلاد الشام وعبّاد النار في أرض فارس، حتى ظهر الإيمان واندحر الكفر، فله الحمد.

وبعد أن أوردت بعض البشائر بالمصطفى ﷺ مما يُعرف بالأسفار المنحولة، أعود إلى الأسفار القانونية المعتبرة عند أهل الكتاب حتى لا تبقى لمنكر حجة.

الفصل الثاني
اسم النبي ﷺ في
أسفار أهل الكتاب



«محمد» ﷺ في سفر «هوشع»

يزعم علماء أهل الكتاب أن أسفارهم "المقدسة" لا تحوي أثراً
 لاسم محمد ﷺ البتة، وأن قول الله ﷻ: ﴿يَمْدُودُهُ مَكْنُوءًا عِنْدَهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] هو محاولة لإضفاء شرعية
 وقداسة على الرسالة الخاتمة رسالة الإسلام التي هي عندهم دينٌ
 مقتبس عن اليهودية والنصرانية. وبغض النظر عن هذه المزاعم
 الباطلة إلا أن الحديث عما يسمى «الكتاب المقدس» (Holy Bible)
 ليس في الحقيقة حديثاً عن التوراة والإنجيل اللذين هما كتابان متزلان
 من عند الله. وعليه فلولم يرد اسم محمد ﷺ في كتابهم الذي بين أيديهم
 ما كان ذلك قدحاً في تقرير القرآن الكريم.

ف«الكتاب المقدس» ينقسم إلى قسمين رئيسين. العهد القديم:
 ويشترك في الإيمان به اليهود والنصارى، ويحوي هذا القسم أحكاماً
 وقصصاً تمتد من بدء الخليقة إلى القرن الخامس ق.م تقريباً كتبها
 عدد من المجاهيل الذين لا يُعلم حالهم. أما العهد الجديد فلا يقبله
 سوى النصارى، ويشتمل على سيرة المسيح ﷺ كما لفظها كتّابها متى
 ومرقس ولوقا ويوحنا، بالإضافة إلى رسائل يُنسب بعضها إلى بولس
 اليهودي وبعضها إلى غيره.

ولكن لتطمئن قلوب المؤمنين وتزداد قلوب الجاحدين حسرة ولا يُتهم المسلمون بالحيدة على أي حال؛ أورد هنا فقرات من العهد القديم التي يتفق اليهود والنصارى على قبولها؛ بقي فيها اسم «عمد» ﷺ صريحاً رغم عبث العاشين. وينقض النظر عن صحة نسبة النص إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أو بطلانه فإنه يبقى شهادة تاريخية سابقة لبعثة المصطفى ﷺ ودليلاً على ورود اسمه الكريم منذ ذلك الزمن في وحي أصيل أخفاه الأخبار والرهبان كما أخفوا غيره من الكتاب.

ترد هذه الفقرات في سفر «هوشع» - الذي هو أحد أسفار العهد القديم المعتمدة - في سياق توبيخ بني إسرائيل على ما اقترفوه من الخطايا والآثام، إذ خاطبهم «الرب» قائلاً:

١ "لَا تَبْتَهِجْ يَا إِسْرَائِيلُ وَلَا تَطْرَبْ كَيْفِيَّةَ الشُّعُوبِ، لِأَنَّكَ قَدْ خُسِتَ إِيَّاهُكَ وَهَجَرْتَهُ، وَأَخْبَيْتَ أَجْرَةَ الزَّانِي عَلَى كُلِّ بَيَّادِرِ الْخِنِطَةِ. ٢ هَذَا فَإِنَّ النِّسْرَ وَالْمِعْصَرَةَ لَا يُطْعِمَانِكُمْ، وَالْخُمْرَةَ الْجَدِيدَةَ لَا تُلَبِّي حَاجَتَكُمْ. ٣ لَنْ تَظْلُوا مُقِيمِينَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ بَلْ يَرْجِعَ أَقْرَابُكُمْ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ، وَيَأْكُلُوا لَحْمًا نَجَسًا فِي أَشُورَ. ٤ لَا تَشْكُبُوا لِلرَّبِّ خَمْرًا وَلَنْ تَسْرَهُ دَبَائِحُكُمْ، بَلْ تَكُونُ لَكُمْ كَخُبْرِ النَّائِحِينَ. كُلُّ مَنْ يَأْكُلُ مِنْهُ يَتَجَسَّسُ، إِذْ يَكُونُ خُبْرُكُمْ لِسَدِّ جُوعِكُمْ فَقَطْ، وَلَا يَدْخُلُ أَبَدًا إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ."

[هوشع ٩: ١-٤].

وبعد فقرات من التوبيخ يسألهم الرب قائلاً:

מה־תַּעֲשׂוּ לַיהוָה מוֹעֵד וְלַיהוָה חַג־הָהוּה: כִּי־הִנֵּה הָלַכְוּ
מִשָּׁד מִצָּרִים תִּקְבְּצֵם מִן־תִּקְבָּרִם מִחֲמַד לְכַסְפָּם קְמוּשׁ
יִרְשֵׁם חֹזֶה בְּאֶהְלֵיהֶם: בָּאוּ יָמֵי הַפְּקָדָה בָּאוּ יָמֵי הַשִּׁלֹּם
יִדְעוּ יִשְׂרָאֵל אֲנִי הַנִּבִּיא מְשַׁלֵּעַ אִישׁ הָרוּחַ עַל־רֶב עֹנֶה
וְרָבָה מְשַׁטְמָה

ما تَعْمَلُونَ لِيَوْمِ مَوْعِدٍ وَلِيَوْمِ حُجَّ يَهُوَه؟ كَيْ هَبْنِي هَاخُو مَشُود.
مَصْرَايِمَ تَقْبِصُ، مَوْفٍ تَقْبِرُ، تَحْمَدُ لِحَسْبَام، قِيمُوشٍ يِيرَاشِم، حُوح
بְأَهْلِيهِمْ. بَاؤُ وَيَمِي مَبْجُودَاه، بَاؤُ وَيَمِي هُتْلُوم. يَدْعُو بَرَثِيل إِفِيل
هَنْفِي، مَشُجَّع إِيَش هَرُوح؛ عَل رُوف عَفُونَخَا، قَرَبَاءَ مَسْطَاه.

وتفسيره وفقاً لأغلب التراجم العربية والأعجمية - مع فروق

يسيرة -:

٥ ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب. ٦ إنهم
قد ذهبوا من الخراب؛ تجمعهم مصر، تدفنهم موف، يرث
القرىص نفائس فضتهم، يكون العوسج في منازلهم. ٧

جاءت أيام العقاب، جاءت أيام الجزاء، سيعرف إسرائيل
النبي أحمق إنسان الروح مجنون من كثرة إنمك وكثرة الحقد.

إن جلّ الترجمات العربية والأعجمية فست هذا النص تفسيراً
عجباً لا يكاد يفصح عن معنى مفهوم، بل لا يعدو رصاً لجمل متنافرة
لا يربطها رابط. فما هو "يوم الموسم"؟ وما هو "يوم عيد الرب"؟ وما
معنى "سيعرف إسرائيل، النبي أحمق، إنسان الروح مجنون، من كثرة
إنمك وكثرة الحقد."؟

وهاك نماذج من هذه الترجمات وأغلاطها:

النسخة السبعونية اليونانية (Septuagint): "لأنهم أولاء
يخرجون من بلاء مصر."^(١)

النسخة الدولية الجديدة (NIV): "وإن فروا من الخراب، مصرُ
تجمعهم."^(٢)

النسخة القياسية المنقحة (RSV): "لأنهم أولاء يخرجون إلى

(1) "dia touto idou poreusontai ek talaiporias Aiguptou".

(2) "Even if they escape from destruction, Egypt will gather them."

أشور، مصرُ مجتمعهم.^(١)

إن العجب من هذا التباين سرعان ما يتلاشى إذا ما رجع الباحث إلى النص العبراني لسفر «هوشع» ليرى أن الترجمات المختلفة أبعد ما تكون عن الدقة، وإنما أوكلت في كثير من الأحيان إلى من ليس من أهل اللغات «السامية»^(٢) وإن كان من المختصين بها؛ فتراه يقلّب معاجم العبرية يهرع إلى أي معنى يحتمله السياق وهو لا يمتلك سليقة تدله على المعنى المراد من بين عشرات المعاني أحياناً. وجُلُّ الترجمات إنما قام بها هؤلاء الأعاجم.

فالنسخة السبعونية اليونانية أضافت كلمة (talaiporias) التي تعني الشدة والبلاء (أو الخراب أحياناً) إلى كلمة (Aiguptou) (أي "مصر") لتصبح العبارة "بلاء مصر". ومع أن هذا المعنى مقبول في نفسه إلا أنه لا ينسجم أبداً مع السجع المقصود في النص كما سيأتي بيانه بعد قليل.

(١) "For behold, they are going to Assyria; Egypt shall gather them..."

(٢) درج وصف «السامية» على السنة الباحثين رغم خطئه، والصواب أن يقال «اللغات العربية القديمة» أو نحوه.

كما نلاحظ أن ما اعتبرته النسخة «السبعونية» اليونانية إضافةً اعتبرته «النسخة الدولية الجديدة» (NIV) كلمتين منفصلتين: «من بلاء مصر» تصبح "من الخراب، مصرٌ...".

أما «النسخة القياسية المنقحة» (RSV) فقد أغربت كثيراً حتى إن المرء ليتساءل: أي يد خرقاء قامت بها؟ فقد ترجمت حرف الجر «م» (ومعناه "مِنْ") بـ "إلى"، وهو عكس المقصود تماماً! ثم فسرت كلمة «شود» (أي "البلاء") بـ «أشور» التي ينسب إليها الآشوريون، فصارت "يذهبون إلى آشور". وأي تشابه ثمة بين شود (שוד) وأشور (אשור) في العبرانية حتى يُلمس العذر للمترجم؟ إنه مثال يُبَيِّن على تحريف المترجمين لا يمكن تفسيره إلا أنه اتباع للهوى أو جهل كئيف. ولعل قارئاً نبّه دار النشر إلى هذا الخطأ الجلي فغيّر في «النسخة القياسية المنقحة الجديدة» (NRS) إلى "وإن قرؤوا من الخراب" على غرار «النسخة الدولية الجديدة».

لقد كانت العبرانية إحدى اللغات العربية القديمة كالسبئية والشمودية، تحدّث بها الكنعانيون العرب الذين قطنوا فلسطين، ثم اتخذها اليهود لساناً لهم وأسموها "سִפְתֵּי כְנַעַן" أي «لسان كنعان» كما يشهد لذلك سفر إشعيا (١٩: ١٨)، لكنها لما فقدت علاماتها

الإعرايية - كحال كثير من اللغات العربية القديمة - أصبح من الصعوبة تحديد المعاني بدقة كما في النص الوارد أعلاه؛ فلو كانت كلمة «مصريم» تحمل علامة رفع لَعُلِمَ أن ليست متعلقة بـ «شود» (أي «بلاء»)، بل هي جملة مُستأنفة. وفي هذا تقول الموسوعة البريطانية:

كان للغة السامية [العربية الأم] في الأصل ثلاث حالات: (الرفع والنصب والجر). لكن العلامات الإعرايية التي ميزت تلك الحالات لم تُحفظ حفظاً كاملاً إلا في بعض اللهجات الأكادية وفي العربية الفصحى.^(١)

أعود فأقول إن القارئ للفقرتين ٥ و٦ في أصلهما العبراني لا يغيب عنه ما فيهما من تناظر وسجع تستظم به الجمل تلقائياً دون تكلف أو تعسف. يقول النص:

مِصْرَايِمُ يَقْبِصُ ^(٢)	(مصر تحصرهم)
مِوَفُ يَقْبِرُ	(موف يقبرهم)
مَحْمَدٌ لِحَبَّامٍ	(نفيس فضتهم [؟])

(١) Encyclopedia Britannica. "Semitic Languages".

(٢) من «قبص» العبرانية (ويقابلها في العربية «قبض») بمعنى «جمع» أو «حاز».

قُمُوشِ يِرَاشِمِ (القريص^(١) يرثهم)

حُورَحَ بِأَهْلِهِمْ (العوسج في منازلهم)

فيلحظ أن الجمل الثلاث الأولى تبدأ بالميم، كما أن كل جملة تنتهي بميم الجمع التي تقابل «هم» في العربية، وهو نظم يذكّرنا بنظم المؤشحات الأندلسية، كقول ابن المهلهل واصفاً الطبيعة:

النهر سل حاماً على قدود الغصون

وللنسيم مجال

والروض فيه اختيال

مدّت عليه ظلال

... إلى آخر ما قال.

المقصود أنه عند اتباع النظم الصحيح للنص يتبيّن أن «مصريم» مبتدأ وليست مضافاً إليه كما اقترحت النسخة السبعونية. فلما أخطأت النسخة السبعونية بأن اعتبرت «[م]أشود مصريم» مضافاً ومضافاً إليه ترتب على ذلك أن أعادت صياغة الفقرتين بعدها على النحو

(١) أو القُرَاص، وهو نبات.

التالي:

تقبصم موف (تخشرهم موف)

تقبرم عماس (تقبرهم محماس [٩])^(١)

لخسام قيموش ييراشيم (أما فضتهم فيرثها الخراب)

حروح بأهليهم (ويكون العوسج في خيامهم)

وبهذا يتبين أن النسخة البعونية أفقدت النص نظمه وإيقاعه، بل وأخلت - كغيرها من النسخ - بقواعد الإعراب في الجملة الثالثة.

ولم يقف التحريف عند تغيير المبنى، بل حُرف المعنى كذلك. وهنا سار كز الحديث على معنى النص ليرى القارئ كيف أن تلاعب المترجمين حول نصاً صريحاً في نبوة المصطفى ﷺ إلى جمل شديدة الركافة باهتة المعاني أشبه ما تكون بسجع الكهان.

(١) وهو تحريف للكلمة الأصلية "م-ح-م-د" كما سألته لاحقاً إن شاء الله.

تفسير النص:

أما قوله: (مَا تَعْمَلُونَ لِيَوْمٍ مَوْعِدٍ وَلَيْسَ بِهِ حُجٌّ) فليست له علاقة بالمواسم والأعياد، وهذا ظاهر من السياق، إنما هو تخويف وتذكير لبني إسرائيل الذين ابتعدوا عن منهج الله وعصوا رسله. فَمَنْ ترجمه بقوله "ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب؟" أبعد النجعة وأحال الوعيد عيداً. فالنص العبراني يقول: (ل-يوم) ومعناها "لِيَوْمٍ" وليس (ب-يوم) "في يوم". وعليه فالصحيح أن تترجم هكذا: "ما أنتم عاملون ليوم الميعاد"^(١) ويوم يحشركم الرب؟"، فكلمة "حَجٌّ" في العبرانية هي كل اجتماع حاشد، وإنما استعيرت للعيد لاجتماع الناس فيه. ومعنى الجملة يُذَكِّرُ بقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ يَخِيفُكُم مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُم مِّمَّةً الْعَذَابِ يَذِيحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩].

وأما قوله (كَيْ هِيَ هَاخُوشٌ) مصرايم تقبصم، موف تقبرم) فتفسيره "فهاهم أولاء نجوا من البلاء: مصر تأسرهم ومنف"^(٢) تقبرهم [أو تدفنهم]. "وهو تذكير لبني إسرائيل بما تعرضوا له من ابتلاء

(١) "موعد" في النص العبري.

(٢) منف: مدينة مصرية قديمة.

على يد فرعون وقومه، فالتص يشير إلى النجاة من البلاء، والاستعباد، والقتل، وهو معنى قريب جداً من قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝﴾.

لكن اضطهاد المصريين ليس كل ما تعدده الفقرة من ابتلاء لبني إسرائيل، فهي تستمر قائمة (تَحْمَدُ لَحْصَام)، وهنا بيت القصيدة؛ فقد تُرجمت هذه العبارة بـ "نفائس فضتهم" وهو من التحريف الظاهر لأمرين رئيسين. أولهما: أن إضافة «تَحْمَدُ» (بمعنى "نفيس") إلى «لَحْصَام» (أي "فضتهم" أو "ماهم") من الركابة بمكان، لوقوع حرف الجر «لـ» بينهما؛ حتى إن «فيلهلهم جِسيوس» في كتابه «نحو اللغة العبرانية» Gesenius' Hebrew Grammar أورد احتمال أن تكون العبارة في أصلها (تَحْمَدِي لَحْصَام)، وهي صيغة الإضافة السوية في العبرية.

الأمر الآخر: إن سلماً جديلاً بصحة الإضافة في (تَحْمَدُ لَحْصَام) "نفيس فضتهم" [أو "ماهم"] فهي رغم ذلك ليست جملة مفيدة، فهي تحوي مبتدأ يفتقر إلى خبر، أو خبراً مبتدأ محذوف لا نعلمه، مما اضطر المترجمين إلى أن يربطوها بـ (قيموش ييراشم) التي تليها، فقالوا "يرث

القريص نفائس فضتهم"؛ وهي محاولة بائسة للهروب من المازق. لكن الجملة لا تستقيم رغم ترقيةهم هذا، لأننا لو ترجمنا النص العبري حرفياً لصار "نفيس فضتهم القريص يرثهم" بمعنى أن ضمير الجمع «هم» سيعود على المفرد «نفيس» وهو ما لا يستقيم في اللغة العبرانية، وإنما يقال "نفيس فضتهم القريص يرثه"، ولو افترضنا أن الضمير يعود على «فضة» - وهو بعيد جداً - فالاعتراض قائم لأنها مفرد وليست جمعاً حتى في أصلها العبري (للكشف لم). فدل ذلك على أنها جملتان وليستا جملة واحدة.

فما معنى الجملة إذن؟ إن (عُحَمَّدَ لِحَسَام) عبارة وجيزة مستأنفة معناها الحرفي "عُحَمَّدُ لِيَاهُم"، فـ «محمد» اسم عَلَم يشير إلى النبي ﷺ وليس صفة بمعنى «نفيس»، يشهد لهذا أمران على الأقل، أولهما: أن الجملة بغير هذا الشكل لا تستقيم لا معنى ولا مبنى كما سبق بيانه. ثانياً: لئلا تعرض مترجمو النسخة السبعونية لهذه الفقرة كانوا يدركون أن «محمد» اسم علم، فكانهم حاروا ما يفعلون، فلجأوا إلى تغيير الاسم إلى «مَحْمَس» (Machmas)، أي مدينة «مخماش».

ولعل قارئاً يقول: ألا يمكن أن يُعتذر لهم باحتمال أن حرف الدال لم يكن بيتاً في الأصل العبراني فأشكل على المترجمين؟ فأقول:

أولاً، إن حرفي السين (سامخ) والذال (دالت) في العبرانية لا يتشابهان البتة والخلط بينهما بعيد، فالأول يكتب هكذا (ס) والآخر يكتب هكذا (ט)؛ ثانياً: لو افترضنا ذلك جدلاً فإن مدينة «خماش» التي يريدونها المترجمون هنا لا تكتب في العبرية «محمس» وإنما (מחמש) «مكمس» أو (מחמש) «مكمش» بكاف وسين أو كاف وشين؛ فالتحريف لم يقع في حرف واحد فحسب، بل في حرفين اثنين.

وقد يعترض معترض فيقول: لم بدلت «محمّد» فجعلتها «محمّد»؟ والجواب أن النص العبري ظل أكثر من ألف عام مجرداً عن الحركات إلى أن أضافها «المُوريتون» من علماء اليهود بين القرنين السادس والتاسع بعد الميلاد وفق اجتهادهم، فأصابوا بعضاً وأخطأوا بعضاً. فالكلمة قبل تحريف الموريين كانت (מחמד) «محمد» دون حركات، ولم تكن (מחמד) «محمّد»، وهذا مما يُجمع عليه علماء العهد القديم. فلم يبق إلا الإذعان بأن «محمد» علم على النبي ﷺ.

والمراد من الفقرة أن محمداً ﷺ سيتولى تأديبهم في أموالمهم، وحصل ذلك عندما أجلى بني النضير إلى أذرعات من أعالي الشام وإلى خيبر حتى إن أحدهم كان يتزعج باب داره وسقفها لتلايخلفها وراءه، كما جاء في سورة الحشر ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ

يَذَرُهُمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوا وَظَنُوا أَنَّهْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنْ اللَّهِ فَلَانَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿[الحشر: ٢٠]﴾
قوله تعالى: ﴿وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿[الحشر: ٢٦]﴾

أما قوله: (قيموش بيراشم، حوح بأهليلهم) فسأعتمد فيه ترجمة النسخ العربية "القريص يرثهم، والعوسج في منازلهم" - تنزلاً لا قبولاً - حتى لا أطيل على القارئ.

ثم يعود الرب إلى تحذير بني إسرائيل من مغبة كفرهم وأن أيام المسألة قد أزفت فيقول: (باؤويمي هيجوداه، باؤويمي هسلوم) أي "أزفت أيام العقاب وحلت أيام الجزاء". واستعمال الزمن الماضي هنا دلالة على التحقق والوقوع لا محالة، كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ أَتَرَوْهُ فَلَا تَسْمَعُ لَوْهٖ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴿[النحل: ١]﴾

ثم يبين السبب في هذا التهديد والوعيد فقال: (يدعو إسرائيل إيفل هتفي، شُجَّع إيش هروح) وترجمتها كما في ترجمة «فان دايك»

"سيعرف إسرائيل، النبي أحق، إنسان الروح مجنون." وهي كما ترى غاية في الركافة والإيهام، والسبب في هذا أن جل الترجمات العربية والأجنبية اعتبرت الفعل العبري «يدعو» مشتقاً من «ي-د-ع» بمعنى "عَرَفَ"، والصحيح أنه مشتق من "د-ع-هـ" بمعنى "دعا". وهذا الفعل ثابت في العبرانية كما فصل ذلك «جيمس بار» في كتابه «فقه اللغة المقارن ونص العهد القديم».^(١) فالجملة (يدعو إسرائيل إيفيل هُنْفي، مُشْجَع إيش هروح) تتألف من فعل متعدي إلى مفعولين، وفاعل، ومفعول به ثانٍ مقدّم، ومفعول به أول مؤخر، ثم مفعول به ثانٍ مقدّم؛ ومفعول به أول مؤخر مضاف. وعليه فالترجمة الحرفية للفقرة هي "تدعو إسرائيل النبي سفيهاً، ورجل الروح مجنوناً"، والمراد بـ«إسرائيل» هنا بنو إسرائيل. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلِيرٌ أَوْ يَجُنُّونَ ۚ﴾ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ ﴿٥٣﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

(1) Barr, James. Comparative Philology and the Text of the Old Testament (Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1987), p. 23.

ثم بين النص ما دفع اليهود إلى هذا السباب والجحود فقال (عل روف عفونخا، فرياه مسطهاه) "لكثرة آثامك وفرط عدائك".^(١) فسبب تكذيب اليهود للنبي ﷺ وشتيمهم إياه - بشهادة أسفارهم - هو فرط عدائهم، وهو كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

وفي قصة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها مالفة الذكر أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقيهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. قالت: فأتيا كألين كسلأين ساقطين يمشيان الهوينى. قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من

(١) هنا التفات من الغيبة إلى الخطاب، أي انتقال من صيغة الغائب "يدعو إسرائيل" إلى صيغة المخاطب "آثامك" و"عدائك"، وفائدته البلاغية لفت الانتباه أو القارئ إلى أمر ذي شأن. وقد سبق ورود التفات آخر عند قوله "ما أنتم عاملون..." فهاهم أولاء نجروا من البلاء" والأصل "فها أنتم أولاء نجروتم من البلاء". وهذا لا يعنينا كثيراً هنا وإنما أردت به بيان مرواحة الضمائر وأن ذلك لا يغير من أصل معنى النص شيئاً.

الغم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حنيفة بن أبي خازيم: أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت".^(١)

هنا أختتم بعرض ترجمة «فان دايك» العربية للنص أعلاه وأتبعها بترجمتي التي اعتمدت فيها الأصل العبري وأترك للقارئ الحكم.

ترجمة فان دايك: "ماذا تصنعون في يوم الموسم وفي يوم عيد الرب؟ إنهم قد ذهبوا من الخراب، تجمعهم مصر، تدفنهم موف، يرث القريص نفائس فضتهم، يكون العوسج في منازلهم. جاءت أيام العقاب. جاءت أيام الجزاء. سيعرف إسرائيل، النبي أحق، إنسان الروح مجنون، من كثرة إثمك وكثرة الحقد."

ترجمة الباحث: "ما أنتم عاملون ليوم الميعاد، ويوم يحشركم الرب؟ فهاهم أولاء نجوا من البلاء: مصر تأسرهم، ومنف تدفنهم، ومحمد يقنمهم، والقريص يرثهم، والعوسج في ديارهم. أزفت أيام العقاب وحلت أيام الجزاء، فبنو إسرائيل يدعون النبي سفيهاً وذا

(١) سيرة ابن هشام ٥١٩/١.

الوحي^(١) مجنوناً، من عِظَم الإِثْمِ وفِطْرِ الْعَدَاءِ.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٥٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿[البقرة: ١٤٥٦-١٤٧].

(١) «إِشْ هَرُوح» التي تترجم بـ «إنسان الروح» معناها «ذو الوحي» وهو وصف لمحمد ﷺ إذ سُمِّيَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ «رُوحاً» في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَنْفُسِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الفصل الثالث
قبلته ﷺ مثابة
للناس



«بكة» في سفر الزامير

في تعليق على «سفر الزامير»^(١) ينقل اللاهوتي القس «جورج بوش»^(٢) عن المفسر «روزنمولر»^(٣) قوله: «إن الجزء الأول من المزمور [الرابع والثمانين] لا يمكن إيضاحه بمشالٍ خيرٍ من - ولا يُسأ فهم مقصدنا! - أولئك الذين يحجون إلى مكة.»^(٤) وهو هنا يعرّض بالمسلمين كما سترى؛ فما هي الحقيقة التي يخشى أن ينصرف إليها كلامه؟

يقول المزمور الرابع والثمانون وفقاً لترجمة «فان دايك» العربية الشهيرة:

(١) سفر الزامير: أحد أسفار العهد القديم التي يشترك في قبولها اليهود والنصارى وينسبونه إلى داود عليه السلام.

(٢) جورج بوش: لاهوتي ومفسر أمريكي يلتقي نب بالربيس الأمريكي الأسبق «جورج وركر بوش». له كتاب «حياة محمد ﷺ» وتفسير على ما يسمى الكتاب المقدس. هلك عام ١٨٥٩ م.

(٣) إرنست فريديريك روزنمولر: لاهوتي ومفسر ألماني. كان أستاذاً للغات الشرقية بجامعة «لايبج» الألمانية، وله مؤلفات وتفسير لما يسمى الكتاب المقدس. هلك عام ١٨٣٥ م.

(4) Bush, Rev. George. Illustrations of the Holy Scriptures (Philadelphia: J.B. Lippincott & Co., 1865), p. 396.

"طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك (سلاه)؛ طوبى
لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم؛ عابرين في وادي البكاء
يصيرونه ينبوعاً، أيضاً بركات يُغطون مورة؛ يذهبون من قوة إلى قوة،
يرون قدام الله في صهيون." (مزامير ٨٤: ٥-٨).

إن غموض المعنى في هذا المزمور مما يشير الشك بأن تحريفاً قد
حصل من قبل المترجمين عن الأصل العبراني، مما يجعل الرجوع إلى
الأصل العبراني^(١) مما لا مندوحة عنه. يقول النص العبراني:

أَشْرِي יוֹשְׁבֵי בֵיתְךָ עוֹד יִהְיֶה לְךָ שְׁלָה: אֲשֶׁרִי אָדָם
עוֹד-לֹא בָד מְסֻלוֹת בְּלִבָּבָם: עֹבְרֵי בְעֵמֶק הַבְּכָא מַעֲוִן
יִשְׁתַּוְּהוּ גַם-בְּרָכּוֹת יַעֲטֶה מוֹרֶה: יִלְכּוּ מִחֵיל אֶל-חֵיל
יִרְאֶה אֶל-אֱלֹהִים בְּצִיּוֹן

أشري يوشفي فيثخا عود يهللوخا، (سلاه)؛ أشري آدام عوز
لوباخ، مسيلوت يلفافام، عوفري بعمق هبكا ميعان يشينو هو، جم
براخوت يعطيه موره، يلخو محاييل إل حاييل، يرائيه إل إلوهم بصيون.

(١) بعد "الأصل العبراني" الذي بين أيدينا أصلاً للنسخ المحرقة المطبوعة، لكنه
ليس هو التوراة الأصلية ولا قريباً منها، فهو زائر بالتحريف والتبديل.

يتحدث النص هنا عن بركة تال صنفين من الناس؛ أحدهما «يوشفي فينخاه أي "ساكنو بيتك [أي بيت الرب]" ويصنفهم النص بأنهم يسبحون الرب أبداً فهم في عبادة دائبة. والصنف الآخر «عوفري بعمق هبكا» «عابرو وادي البكاء» وهم الذين يأتون من كل فج عميق وقد امتلأت قلوبهم بالشوق إلى بيت الله "طرق بيتك في قلوبهم".

وهذان الصنفان اللذان أشير إليهما في سفر المزامير جاء ذكرهما في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يقول تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ مِنَ الْحَكَامِ بِظُلْمٍ نُزِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضاً عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكاً لهم ولا لأبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه." (١)

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تفسير سورة الحج.

فـ "العاكف" - أي المقيم - في الآية الكريمة يقابله "ساكنو بيتك" في نص المزامير، و"الباد" - أي الطارئ على البيت - يقابله "عابرو وادي البكاء". لكن وادياً يدعى «وادي البكاء» لم يُعهد بمكة حتى يقال إن النص إشارة إلى وفود الحجيج. فأين يقع «وادي البكاء» إذن؟

لقد تخرَّص شارحو العهد القديم أياً تخرَّص عند تفسيرهم لوادي البكاء. فقال البعض إنه سمي كذلك لكثرة بكاء الحجيج أثناء عبورهم إلى القدس، مع أن القدس «أورشليم» غير مذكورة في نص المزمور. وقال آخرون هو اسم لشجرة «البكاء» أو «البكاء» التي ربما كانت تملأ الوادي، إلا أن عالم الآثار «الإسكندر ماكاليستر» يؤكد عدم وجود مثل هذه الشجرة في أرض فلسطين.^(١) لذا أقر البعض بأن الكلمة العبرية (ب-ك-ا) أكثر الكلمات صعوبة في سفر المزامير.

بالرجوع إلى النص العبراني نجد أن "وادي البكاء" ترجمة لـ «عِمق هـ-بكاء». فأما «عِمق» فتعني "وادي"، وأما «هـ» فهي أداة التعريف في العبرانية. لكن الذي لا يسلم لشرح العهد القديم هو أن

(1) International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003), "Balm".

(ب-ك-ا) في هذا النص هو البكاء. فالكلمة هنا علمٌ على موضع يدعى "بكا" لا يعرفه الشراح أو لا يريدون معرفته. يقول تفسير The New Interpreter's Bible: "بكا" يؤخذ عادة على أنه اسم علم. مكانه مجهول، لكن يبدو أنه بقعة جرداء إليها يجلب الحجاج غوثاً.^(١) ولهذا اكتفت جُلُّ النسخ الإنجليزية بكتابة الاسم كما هو (Baca).

إن الترجمة الصحيحة لـ «عَيْن هـ-بكا» هي "وادي بكة" الذي فيه بيت الله الحرام قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ١١﴾ فِيهِ أَيْتٌ بَيِّنَةٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿[آل عمران: ٩٦]. ولولا خشية الإطالة لأوردت أقوال المخالفين من اليهود والنصارى وما تستحقه من إبطال.

ثم يضيف النص العبري قائلاً «معيان يشيتو هو»؛ وقد ترجمته النسخ العربية "يجعلونه يبايع ماء" ونحوه، أما النسخ الإنجليزية فتباينت كثيراً في ذلك. فمنها ما وافق النسخ العربية ومنها ما ترجمه

(1) The New Interpreter's Bible (Nashville: Abingdon Press, 1994), Vol. 4, pp.1013-14.

"يَعُدُّونَهُ عَيْنًا" كنسخة «الجمعية اليهودية للنشر»، أو "يُجدون ماء عين بشر يون منه" كـ «النسخة الأمريكية الحديثة». وعلى الرغم من اختلاف هذه النسخ إلا أنها تتفق في وجود عين أو بئر حول هذا البيت الحرام. وهذا لا يَصْدُقُ إلا على بئر زمزم التي نبتت من تحت قدمي إسماعيل عليه السلام.

يستمر النص العبري قائلاً «جَم بَرَاخُوت يَعْطُهُ مِوَرَهُ» وترجمتها وفقاً لنسخة «فان دايك» العربية "أيضاً بركاتٍ يُغَطُّونَ مِوَرَهُ"، وقد أبعد المترجمون النجعة فجاءت ترجمتهم باهتة لا تناسب السياق. والصحيح أن «براخوت يَعْطُهُ مِوَرَهُ» تعني "الشارع [أو المَشْرَع] يمنح البركات" وإليه ذهب الترجمة السبعونية اليونانية. أما البركات هنا فهي التي أشير إليها في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

ثم يصف النص بعض أعمال الحجيج بقوله «يَلْخُو مَحَابِلَ إل حابِل» وتفسيرها - كما تزعم نسخة «فان دايك» وغيرها - "يذهبون من قوة إلى قوة". وكان هذا الجزء من النص هو الذي دفعني إلى دراسته بلغته الأصلية. فالنص في ترجمته العربية وأغلب الترجمات الإنجليزية، بالغُ الركَاكة كما ترى، لا يُدري المراد منه. فلما رجعت إلى النسخة

العبرانية وجدت أن الكلمة (ح-ي-ل) قد تُرجمت على المجاز - "قوة" - لا على الحقيقة، وأن الكلمة في العربية بمعنى «حائل» وهو الحاجز بين شيئين، فهي السور والتراتس والجبل والتل والمرتفع من الأرض. وبقيت مدةً أبحث في المعاجم العبرانية وترجمات العهد القديم إلى أن وجدت بُغيتي أخيراً في الترجمة العربية اليسوعية التي ترجمت الفقرة بقولها "من ذروة إلى ذروة يسرون." ثم زادني يقيناً ما وجدته في الترجمة العربية المشتركة "ينطلقون من جبل إلى جبل"، فأدركت أنني لم أكن واهماً وأن الفقرة تشير إلى السعي بين الصفا والمروة.

ثم يختم النص سير الحجيج بقوله «يرانيه إل إلهيم بصيون» وتفسيرها حسب ترجمة «فان دايك» "يرون قدام الله في صهيون". وهنا قد يورد البعض إيراداً وجيهاً وهو: ما مناسبة ذكر "صهيون" في هذا النص إن كان يتحدث عن حجاج بيت الله في مكة؟ والجواب على هذا الإيراد من وجهين؛ الوجه الأول: أن متن العهد القديم الذي يسميه أصحابه «توراة» نالته يد التحريف والتبديل بنص القرآن، بل باعتراف علمائهم، فلا يُستغرب أن تكون كلمة "صهيون" هنا من تبديل النساخ. أما الوجه الآخر: فلو سلّمنا جدلاً بسلامة النص العبراني فالفرق بين (ص-ي-و-ن) (أي "صهيون") و(ص-ي-و-ن) (أي

"الأرض القاحلة" هو حركة الحرف الأول، علماً أن هذه الحركات ألحقت بالنص العبراني بعد كتابته بأكثر من ألف عام وكان ذلك بناء على ما رآه أحبار اليهود المعروفون بالـ «مُسَوِّين»، وفيها من الأغلاط المقصودة وغير المقصودة ما يعترف به أشهر علمائهم من أمثال «جيمس بار» وغيره. وعليه فلا يُسَلَّم لأولئك البُهِت بأن الكلمة محرّكة بالكسر لا الفتح. وبمعنى "الأرض القاحلة" تُرجم (إشعياء ٥: ٢٥) "كحَرَّ في يَسِّي [صَيون] تُخَفِّض ضَجِيج الأعاجم"، وكذا (إشعياء ٢: ٣٢) "كسواقي ماءٍ في مكان يابس [صَيون]". وبه ينبغي أن يترجم نص الزمير أعلاه هكذا "يرون قدام الله بأرض غير ذات زرع".

وليس المقصود هنا مجرد نظر الله إليهم، فالله لا تخفى عليه أعمال عباده في حج أو غيره فهو السميع البصير، وإنما المراد ما يئنه المصطفى ﷺ بقوله: "إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثاً غبراً."^(١)

ختاماً: أورد النص العربي كما في ترجمة «فان دايبك» ثم نص الترجمة التي اعتمدتُ فيها "الأصل" العبراني مع الحرص على منطقيّة السياق وجلاء المعاني؛ ليرى القارئ كيف أسهم المترجمون في طمس

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٨٥٢) والحاكم في المستدرک (١٧٠٨).

إشاراتٍ جلية إلى الرسالة الخاتمة.

ترجمة «فان دايك»:

"طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك؛ طوبى لأناس عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم؛ عابرين في وادي البكاء بصيرونه ينبوعاً، أيضاً بركاتٍ يُغَطُّونَ سورة؛ يذهبون من قوة إلى قوة، يُروْنَ قدام الله في صهيون."

ترجمة الباحث: "طوبى للعاكفين في بيتك، دأباً يهللونك."^(١)

طوبى لأناس عزهم بك، فِجَاج بيتك في قلوبهم، البادين بوادي «بَكَّة»، من عينٍ يشرسون، ومن بركات المشرع ينعمون، من جبلٍ إلى جبلٍ يسعون، ينظر الله إليهم بأرض غير ذات زرع."

(١) "يهللوخا" في النص العبراني. والتهليل - قول "لا إله إلا الله" - والتكبير في الحج أظهر من التسبيح.

ختاماً: أقول للقس «جورج بوش» واللاهوتي «روزنمولر»
 اللذين أرادوا صرف البشارة عن مكة فيما أفلحوا: إن المسلمين الذين
 تخافون أن "يسينوا مقصدكم" يقرؤون قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا
 بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ
 مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَئِينَ الْفَٰلِغِينَ ﴿١٣٥﴾ الَّذِينَ أَتَيْتَهُمُ الْكِتَابَ
 يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
 ﴿١٣٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة ١٤٥-١٤٧].



الفصل الرابع

أمته ﷺ ترث الأمم



التمثال والحجر

يذكر سفر دانيال من العهد القديم أن الملك البابلي يختصر
 رأى ذات ليلة رؤيا فأصبح يسأل عنها المفسرين فدُلَّ على دانيال
 النبي لاشتهاره بتأويل الأحاديث، فأجابه: «رَأَيْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَإِذَا
 يَتِمُّنَالِ عَظِيمٍ صَحْمٍ كَثِيرٍ الْبَهَاءِ وَاقِفًا أَمَامَكَ وَكَانَ مَنْظَرُهُ هَائِلًا.
 وَكَانَ رَأْسُ التَّمْنَالِ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، وَصَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ، وَبَطْنُهُ
 وَفَخْدَاهُ مِنْ نَحَاسٍ، وَسَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَدَمَاهُ خَلِيطٌ مِنْ حَدِيدٍ وَمِنْ
 خَرْزَفٍ. وَبَيْنَمَا أَنْتَ فِي الرُّؤْيَا انْقَضَ حَجَرٌ لَمْ يَقْطَعْ يَدَ إِنْسَانٍ، وَضَرَبَ
 التَّمْنَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ الْمَضْرُوعَتَيْنِ مِنْ خَلِيطِ الْحَدِيدِ وَالْخَرْزَفِ فَسَحَقَهُمَا،
 فَتَحَطَّمَ الْحَدِيدُ وَالْخَرْزَفُ وَالنَّحَاسُ وَالْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ مَعًا، وَانْسَحَقَتْ
 وَصَارَتْ كَمَصَافَةِ الْبَيْدَرِ فِي الصَّبْفِ، فَحَمَلَتْهَا الرِّيحُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهَا
 أَثَرٌ. أَمَّا الْحَجَرُ الَّذِي ضَرَبَ التَّمْنَالَ فَتَحَوَّلَ إِلَى جَبَلٍ كَبِيرٍ وَمَلَأَ الْأَرْضَ
 كُلَّهَا. هَذَا هُوَ الْحَلْمُ.»

ثم فر دانيال الرؤيا بقوله:

«أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ، لِأَنَّ إِلَهَ السَّمَوَاتِ أَنْعَمَ عَلَيْكَ
 بِمَمْلَكَةٍ وَقُدْرَةٍ وَسُلْطَانٍ وَعَجْدٍ، وَوَلَاكَ وَسَلَّطَكَ عَلَى كُلِّ مَا يَسْكُنُهُ

أَبْنَاءَ النَّبَرِ وَوُحُوشَ الْبَرِّ وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَأَنْتَ الرَّأْسُ الَّذِي مِنْ ذَهَبٍ.
ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَقُومَ مِنْ بَعْدِكَ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَقْلُ شَأْنًا مِنْكَ، وَتَلِيهَا
مَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مُمَكَّلَةٌ بِالنَّحَاسِ فَتَسْرُدُ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ. ثُمَّ تَعْقِبُهَا
مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَالْحَدِيدِ، فَتَحْطُمُ وَتَسْحَقُ كُلَّ تِلْكَ الْمَمَالِكِ كَالْحَدِيدِ
الَّذِي يَدْقُ وَتَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَمَا رَأَيْتَ أَنَّ الْقَدَمَيْنِ وَالْأَصَابِعَ هِيَ
خَلِيطٌ مِنْ خَرْفٍ وَحَدِيدٍ، فَإِنَّ الْمَمْلَكَةَ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً فَيَكُونُ فِيهَا مِنْ
قُوَّةِ الْحَدِيدِ، بِمَقْدَارِ مَا شَاهَدْتَ فِيهَا مِنَ الْحَدِيدِ مُخْتَلِطًا بِالْخَرْفِ. وَكَمَا
أَنَّ أَصَابِعَ الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَبَعْضُهَا مِنْ خَرْفٍ، فَإِنَّ بَعْضَ
الْمَمْلَكَةِ يَكُونُ صَلْبًا وَبَعْضُهَا الْآخَرُ هَسًا. وَكَمَا رَأَيْتَ الْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا
بِخَرْفِ الْعَطِينِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ تَفْقِدُ صَلَاتَ زَوَاجٍ مَعَ تَمَالِكِ النَّاسِ
الْأُخْرَى، إِنَّهَا لَا يَلْتَحِمُونَ مَعًا، كَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ لَا يَخْتَلِطُ بِالْخَرْفِ.

وَفِي عَهْدِ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ يُقِيمُ إِلَهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَا تَنْقَرِضُ
إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يُبْرَكُ مُلْكُهَا لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُبِيدُ جَمِيعُ هَذِهِ
الْمَمَالِكِ. أَمَّا هِيَ فَتَخْلُدُ إِلَى الْأَبَدِ. لِأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّ الْحَجَرَ الْمُنْقَطَّ الَّذِي
لَمْ يُقَطَّعْ مِنَ الْجَبَلِ بِيَدَيْنِ، قَدْ سَحَقَ الْحَدِيدَ وَالنَّحَاسَ وَالْخَرْفَ وَالْفِصَّةَ
وَالذَّهَبَ. إِنَّ اللَّهَ الْعَظِيمَ قَدْ أَطْلَعَ الْمَلِكَ عَمَّا سَيَحْدُثُ فِي الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ؛
فَالْحُلُمُ حَقِيقَةٌ وَتَفْسِيرُهُ صِدْقٌ. [دَانِيَالُ ٢: ٢٩-٤٥]

أما الممالك الأربع فيفسرها القديس جيروم بأنها المملكة البابلية، ثم الميديّة/ الفارسيّة، ثم الإسكندرية/ المقدونية، ثم الرومية. يقول: "... من الواضح أن الإمبراطورية الأولى، البابلية، تقارن هنا بأثمن معدن، وهو الذهب ... إمبراطورية الميديين والفراسيين تشبه الفضة ... «وَتَلِيهَا مَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مُثَلَّةٌ بِالنَّحَاسِ»، هذا يشير إلى الإمبراطورية الإسكندرية [المقدونية] ... أما الإمبراطورية الرابعة التي تشير بجلاء إلى الروم، فهي الإمبراطورية الحديدية التي تحطم وتغلب الممالك الأخرى.^(١)

وقد علق على هذا الرأي الأسقف الإنجليزي «توماس نيوتن» في كتابه «رسائل في النبوءات» بقوله: «كل الكُتَّاب الأوائل، يهود ونصارى، يتفقون مع «جيروم» في تفسيره المملكة الرابعة بالروم.^(٢) فمن مشاهير آباء الكنيسة الذين يذهبون هذا المذهب القديس

(1) St. Jerome. Jerome's Commentary on Daniel (Baker Book House, 1977), p. 31.

(2) Thomas Newton. Dissertations on the Prophecies (London: Longman & Company, 1832), p. 183.

«هيوليتوس» الذي قال بنفس الرأي في تعليقه على سفر دانيال؛^(١) وكذا القديس «كيرلس الأورشليمي» في محاضراته العقيدية.^(٢) أما المفسر الشهير «متى هنري» فعبر عن ذلك بقوله: «الساقان والقدمان الحديديان» إشارة إلى الملكية الرومية.^(٣) وكونها ساقين وقدمين فيه إشارة إلى انقسامها إلى إمبراطورية رومية غربية وأخرى شرقية.

ولكن ماذا عن الحجر الذي دك التمثال ونحوه إلى جبل كبير وملا الأرض كلها؟

إن أغلب النصارى - كعادتهم - لا يترددون في القول بأن هذه مملكة المسيح عليه السلام. وهذا مجرد زعم لا يقوم على دليل لما يلي:

(1) Alexander Roberts et al. The Ante-Nicene Fathers, Translations of the Writings of the Fathers Down to A.D. 325. (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), vol. V, p. 187.

(2) Philip Schaff. The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), vol. VII, p. 108.

(3) Matthew Henry: Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One Volume. (Peabody: Hendrickson, 1996, c1991), Da 2:31.

أولاً: جاء في العهد الجديد أنه لما سأل بيلاطس المسيح عليه السلام: "إِنَّ أَمْتَكَ وَرُؤُسَاءَ الْكَهَنَةِ سَلَمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟". أجاب قائلاً: "لَيْسْتُ مَمْلُوكِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. وَلَوْ كَانَتْ مَمْلُوكِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُرَاسِي يُجَاهِدُونَ لِكُنْيَ لَا أَسْلَمُ إِلَى الْيَهُودِ. أَمَّا الْآنَ فَمَمْلُوكِي لَيْسْتُ مِنْ هُنَا." [يوحنا ١٨: ٣٥، ٣٦] فهي مملكة روحية.

ثانياً: جاء في تأويل الرؤيا أن الحجر أو المملكة الأبدية ستحق غيرها من الممالك، ولم نر هذا من المسيح عليه السلام وأتباعه، بل لقوا من الاضطهاد والمعاناة الشيء الكثير، حتى إن أعداءهم حاولوا قتل المسيح عليه السلام فنجاه الله تعالى، بل إن النصارى يرون أنه قتل فعلاً وصلب؛ فمتى كان سحقتهم للممالك الأخرى؟

ثالثاً: من قال إن نصرة النصارى كانت على يد الإمبراطور الوثني الرومي «قسطنطين»، فهو لا يعرف حقيقة الرجل، فقد كان من عباد الإله الوثني (Sol Invictus) أو «الشمس التي لا تقهر»، وهو الذي بدل دين النصارى كما سيأتي بيان ذلك عند شرح الإصحاح السابع من سفر دانيال.

رابعاً: أورد المؤرخ اليهودي «فلافيوس يوسيفوس» هذه الرؤيا

في كتابه «عاديّات اليهود»، لكنه لما بلغ الحديث عن الحجر قال: "لقد بيّن دانيال أيضاً معنى الحجر للملك، لكنني لا أرى ذكره مناسباً، لأنني إنما أخذت على نفسي وصف الأمور الماضية والحاضرة، لا الأمور المستقبلية." (١)

ومن المعلوم أن «يوسيفوس» (٣٧-١٠٠ م) عاش بعد المسيح عليه السلام، وكتابته هذا كُتِبَ في نهاية القرن الأول الميلادي (٩٤ م تقريباً)، ومع ذلك فإنه يصرّح أن تفسير الحجر المذكور في الرؤيا لم يقع بعد، فدل على أن تأويلها ليس في زمن المسيح عليه السلام. لكننا لا ندرى لم لم يَر ذكرها. يعلّل هذا «قاموس التفسير اللاهوتي للكتاب المقدس» بقوله: "يُعَدُّ «يوسيفوس» روما الملكة الرابعة في (دانيال ٢)، لكنه يرفض التعليق على الحجر، ربما لئلا يجرّح مشاعر القراء الروم بحديثه عن سقوط روما. ولعل هذا يفسر تجاهله لـ (دانيال ٧)." (٢)

(1) Flavius Josephus. Jewish Antiquities (Wordsworth Editions, 2006), p. 438.

(2) Kevin J. Vanhoozer, et al. Dictionary for Theological Interpretation of the Bible (Baker Academic, 2005), p. 156.

وهذا سبب وجيه؛ لأن «يوسيفوس» كان من بطانة أباطرة الروم. ولكن هل يمكن أن يكون ثمة سبب آخر وهو أنه عرف من هو الحجر، لكنه - كحال غيره من اليهود - لم يُرد أن يروح بوصف النبي محمد ﷺ وأمتة؟ هذا أيضاً محتمل خصوصاً إذا علمنا أن هذه الرؤيا متعلقة برؤيا دانيال في الإصحاح السابع الذي تجاهله «يوسيفوس».

فما الذي يمثل الحجر؟ إنه المملكة التي دكت عروش الأكاسرة الفرس والقيصرة الروم و"لم تُقطع بيد إنسان" بل قامت على وحي إلهي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فهذا نعت محمد ﷺ لانت المسيح - ﷺ - فهو الذي بُعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الأرض وأممها حتى امتلأت الأرض منه ومن أمتة في مشارق الأرض ومغاربها وسلطانه دائم لم يقدر أحد أن يزيله كما زال ملك اليهود وزال ملك النصارى عن خيार الأرض وأوسطها."^(١)

وقد قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٢٥].



(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٥/ ٢٧٧.

رؤيا الحيوانات الأربعة

هذه الرؤيا تلتقي مع سابقتها في كثير من تفاصيلها؛ فهي تتحدث عن أربع ممالك يتبع بعضها بعضاً، أقواها المملكة الرابعة التي تسحق الممالك الثلاث، وتضطهد "القديسين" - على حد تعبير الرؤيا - لكن الغلبة في نهاية الأمر تكون للقديسين، وتبقى مملكتهم إلى الأبد. يقول «قاموس النبوءة الكتابية ونهاية الزمان»: "بالرغم من أن كلاً من الإصحاحين الثاني والسابع من سفر دانيال يسجل رؤيا منفصلة، إلا أنها يتناولان السيناريو ذاته - مجي أربع ممالك قوية عبر التاريخ، تبدأ من زمن دانيال."⁽¹⁾

وقبل الشروع في تفسيرها أفصل إيرادها بتهامها حتى يؤخذ الكلام في سياقه.

"فِي السَّنَةِ الْأُولَى لِحُكْمِ يَلْشَاصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ رَأَى دَانِيَالُ حُلُمًا وَرَوَى، مَرَّتْ بِرَأْسِهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فِي قَرَائِسِهِ، فَدَوَّنَ الْحُلْمَ وَحَدَّثَ بِخُلَاصَةِ الرُّؤْيَا. قَالَ دَانِيَالُ:

(1) J. Daneil Hays, et al. Dictionary of Biblical Prophecy and End Times (Grand Rapids: Michigan, Zondervan, 2009), "Four Beasts of Daniel".

شَاهَدْتُ فِي رُؤْيَايَ لَيْلًا، وَإِذَا بِأَرْبَعِ رِيَّاحِ السَّمَاءِ قَدْ هَجَمَتْ
عَلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ، وَمَا لَيْتَ أَنْ صَعِدَ مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ عَظِيمَةٍ
يُخْتَلِفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. فَكَانَ الْأَوَّلُ كَالْأَسَدِ بِجَنَاحَيْنِ كَجَنَاحِي
النَّسْرِ. وَبَقِيْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِ حَتَّى اقْتُلِعَ جَنَاحَاهُ، وَانْتَصَبَ عَلَى الْأَرْضِ
وَاقِفًا عَلَى رِجْلَيْنِ كَرِئْسَانِ، وَأُعْطِيَ عَقْلَ إِنْسَانٍ. وَرَأَيْتُ حَيَوَانًا آخَرَ
شَبِيهَا بِالذَّبِّ، قَائِمًا عَلَى جَنْبٍ وَاحِدٍ، وَفِي فَمِهِ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ثَلَاثُ أَضْلُعٍ
وَقِيلَ لَهُ: «الْهَضْ وَكُلْ لَحْمًا كَثِيرًا»، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْدَ هَذَا حَيَوَانًا آخَرَ مِثْلَ
النَّسْرِ، لَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ كَأَجْنِحَةِ الطَّائِرِ، وَكَانَ هَذَا الْحَيَوَانِ
أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ، وَفُوضَتْ إِلَيْهِ سُلْطَاتٌ. وَشَهِدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رُؤْيَى
الْلاَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا، ذِي أَسْنَانٍ صَخْمَةٍ
مِنْ حَدِيدٍ، افْتَرَسَ وَسَخَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقِيَ بِرِجْلَيْهِ. وَكَانَ يُخْتَلِفُ عَنْ
سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَهُ عَشْرَةُ قُرُونٍ. وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونَ إِذَا
بَقَرْنِي آخَرٌ صَغِيرٌ نَبَتَ بَيْنَهُمَا، وَاقْتُلِعَتْ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَكَانَ فِي
هَذَا الْقُرْنِ عِوَنٌ كَعِوَنِ الْإِنْسَانِ وَفَمٌ يَنْطِقُ بِعَظَائِمٍ. وَفِيمَا كُنْتُ أَنْظُرُ،
نُصِبَتْ عُرُوشٌ وَاعْتُلِيَ الْأَرَبِيُّ كُرْسِيَّهٖ وَكَانَتْ تِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالثَلْجِ، وَشَعْرُ
رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النِّعِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهْيًا مُتَوَهِّجًا وَعَجَلَاثُهُ نَارًا مُتَقَدَّةً. وَمِنْ
أَمَامِهِ يَتَدَفَّقُ وَيَجْرِي نَهْرٌ مِنْ نَارٍ، وَتَحْدُمُهُ أَلُوفُ أَلُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَيَمُتَّلِعُ

فِي حَضْرَتِهِ عَشْرَاتُ الْأَلُوفِ. فَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ وَفُتِحَتِ الْأَسْفَارُ.
وَبَقِيَتْ أَرَاقِبُ الْقُرْنِ مِنْ جَرَاءِ مَا تَقَوَّهَ بِهِ مِنْ عَطَائِمٍ، حَتَّى قُتِلَ الْحَيَوَانُ
وَتَلَفَ جِسْمُهُ وَطُرِحَ وَقُوداً لِلنَّارِ. أَمَّا سَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ فَقَدْ جُرِدَتْ مِنْ
سُلْطَانِهَا، وَلَكِنَّهَا وَهَبَتْ الْبَقَاءَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لِرِزْمَنِ مَا.

وَسَاهَدْتُ أَنْصَافِي رُؤْيَ اللَّيْلِ وَإِذَا بِمِثْلِ ابْنِ الْإِنْسَانِ مُقْبِلاً
عَلَى سَحَابٍ حَتَّى بَلَغَ الْأَرْضَ فَقَرَّبُوهُ مِنْهُ. فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِسُلْطَانٍ وَبِحُدٍ
وَمَلَكُوتٍ لِيَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ. سُلْطَانُهُ
سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ لَا يَفْنَى، وَمُلْكُهُ لَا يَنْقَرِضُ.

أَمَّا أَنَا ذَانِيَالُ فَقَدْ رَأَى الْحُزْنَ عَلَى رُوحِي فِي دَاخِلِي وَرَوَّعْتَنِي
رُؤْيَ رَأْيِي. فَاقْتَرَبْتُ مِنْ أَحَدِ الْوَاقِفِينَ أَسْتَفِيرُ مِنْهُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ،
فَأُطْلَعَنِي عَلَى مَعْنَى الرُّؤْيَا قَائِلاً:

هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الْأَرْبَعَةُ الْعَظِيمَةُ هِيَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ يَظْهَرُونَ عَلَى
الْأَرْضِ. غَيْرَ أَنَّ قُدَيْسِي الْعَلِيَّ يَسْتَوْلُونَ عَلَى الْمَمْلَكَةِ وَيَمْلِكُونَهَا إِلَى أَبَدٍ
الْأَبَدِينَ. حِينَئِذٍ أَرَدْتُ أَنْ أُطْلِعَ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَيَوَانِ الرَّابِعِ الَّذِي كَانَ
يُخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، إِذْ كَانَ هَائِلاً جِدّاً ذَا أَسْنَانٍ مِنْ حَدِيدٍ
وَمَخَالِبٍ مِنْ نُحَاسٍ، وَقَدْ اقْتَرَمَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا تَبَقَّى مِنْ جُلَيْهِ. وَعَنِ

الْقُرُونِ الْعَشْرَةَ النَّامِيَةِ فِي رَأْسِهِ، وَعَنِ الْقَرْنِ الْآخِرِ الصَّغِيرِ الَّذِي نَبَتْ،
فَاقْتُلِعَتْ أَمَامَهُ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ. هَذَا الْقَرْنُ ذُو الْعُيُونِ النَّاطِقِ بِالْعِظَانِمِ
وَمَنْظَرُهُ أَشَدُّ هَوْلًا مِنْ رِفَاقِهِ. وَقَدْ شَهِدْتُ هَذَا الْقَرْنَ يُحَارِبُ الْقِدْيَسِينَ
وَيَغْلِبُهُمْ. إِلَى أَنْ جَاءَ الْأَزَلِّيُّ وَانْعَقَدَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ الَّذِي فِيهِ تَبَرَّأَتْ
سَاحَةُ قِدْيَسِي الْعِلِّيِّ، وَأَزِفَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ انْتَلَكُوا الْمَمْلَكَةَ. فَأَجَابَ:
إِنَّ الْحَيَوَانَ الرَّابِعَ هُوَ رَمَزٌ لِلْمَمْلَكَةِ الرَّابِعَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ تَخْتَلِفُ
عَنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ لِأَنَّهَا تَسْتَوِلِي عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ وَتُخَضِعُهَا وَتَسَحِّقُهَا.
أَمَّا الْقُرُونُ الْعَشْرَةُ مِنْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ فَهِيَ عَشْرَةُ مُلُوكٍ يَتَوَلَّوْنَهَا، ثُمَّ يَقُومُ
بَعْدَهُمْ مَلِكٌ آخَرٌ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ، وَيُخَضِعُ ثَلَاثَةَ مُلُوكٍ،
وَيُعَبِّرُ الْعِلِّيَّ وَيُنْكَلُّ بِقِدْيَسِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُغَيِّرَ الْأَوْقَاتَ وَالْقَوَانِينَ،
فَيُدِلُّ الْقِدْيَسِينَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ وَنِصْفَ السَّنَةِ إِلَى الْأَصْلِ الْأَرَامِيِّ: "إِلَى
زَمَانٍ وَأَزْمَنَةٍ وَنِصْفِ زَمَانٍ". وَلَكِنْ يَنْعَقِدُ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ، فَيَجْرُدُ مِنْ
سُلْطَانِيهِ فَيُدْمَرُ وَيَفْنَى إِلَى الْمُنْتَهَى.

وَتَوْهَبُ الْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعِظَمَةُ الْمَمَالِكِ الْقَانِمَةِ تَحْتَ كُلِّ
السَّمَاءِ إِلَى شُعْبِ قِدْيَسِي الْعِلِّيِّ، فَيَكُونُ مَلِكُوتُ الْعِلِّيِّ مَلِكُوتًا أَبَدِيًّا،
وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلَاطِينِ وَيُطِيعُونَهُ. إِلَى هُنَا خِتَامُ الرُّؤْيَا. أَمَّا أَنَا دَانِيَالُ فَقَدْ
رَوَعْتَنِي أَفْكَارِي كَثِيرًا وَتَغَيَّرَتْ هَيْبَتِي، وَلَكِنِّي كَتَمْتُ الْأَمْرَ فِي قَلْبِي.^{١٠}

يقول القديس «هيوليتوس الرومي» شارحاً هذه الرؤيا:

يشير دانيال بذكره الحيوان الأول، أعني الأسد الذي خرج من البحر، إلى مملكة البابليين التي كانت قائمة حينذاك؛ وهو نفسه "رأس الذهب" في التمثال. وبالحديث عن "جَنَاحَيْنِ كَجَنَاحَيْ النِّسْرِ" يبين أن الملك «نبوخذنصر» تعالى وتكبر على الرب. ثم يقول بأن "جَنَاحَيْهِ اقْتُلِعَا"، ويعني بهذا أن عبده قُوض، لأنه أخرج من مملكته ... وبعد الأسد، يرى النبي حيواناً آخر كالدب، وهو يرمز إلى الفرس ... والثالث كان النمر، ويُقصد به اليونان. لأنه بعد الفرس استولى الملك الإسكندر المقدوني على الحكم لما انتصر على داريوس؛ وهذا يمثله النحاس في التمثال. وفي حديثه عن "أَرْبَعَةَ أَجْنِحَةٍ كَأَجْنِحَةِ الطَّائِرِ، وَكَانَ هَذَا الْحَيَوَانُ أَرْبَعَةَ رُؤُوسٍ" يبين بجلاء كيف انقسمت مملكة الإسكندر إلى أربعة أقسام ... ثم يحدثنا عن "حَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا، ذِي أَسْنَانٍ صَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَتَحَالِبٍ مِنْ نَحَاسٍ". وَمَنْ هو المراد بهذا الوصف إن لم تكن مملكة الروم، وهي المراد كذلك بالحديد الذي به تُسحق عروش الإمبراطوريات التي قبلها، وتسيطر به على

الأرض؟ فماذا بقي علينا تفسيره مما رآته الرؤيا إلا "أصابع
الْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَالْبَعْضُ مِنْ خَرْبٍ قَدْ اخْتَلَطَا؟"
فبالأصابع العشرة في التمثال عني مجازاً الملوك العشرة الذين
خرجوا منها [مملكة الروم]، كما فسرهما دانيال أيضاً.^(١)

ويعلق مؤلفو «اللاهوت الكتابي للعهد القديم» على الرؤيا
بقولهم: "من الواضح أنها [يعني الحيوانات] تمثل أربع ممالك متتابعة
وملوكتها على التوالي. والرأي التقليدي المحافظ هو أن هذه الممالك
هي: بابل، والمملكة الميديّة/ الفارسية، واليونان، وروما."^(٢)

فالرأي الذي كان سائداً في القرون الأولى ولا يزال يعدُّ الرأي
المحافظ في أوساط اليهود والنصارى؛ هو تفسير الحيوانات الأربعة
بممالك بابل وفارس واليونان والروم على التوالي. وهي الممالك ذاتها
التي وردت في الإصحاح الثاني من سفر دانيال.

(1) Alexander Roberts, et al. The Ante-Nicene Fathers, vol. V, p. 245.

(2) Roy B. Zuck, et al. A Biblical Theology of the Old Testament (Chicago: Moody Press, 1996, c1991), p. 393.

الجدير بالذكر أن الرؤيا تتحدث عن ممالك أربع كلها استولت على الأرض المقدسة. فمملكة بابل قامت في عهد «نيوبلاसार» عام ٦٢٦ ق.م، الذي كان أول ملوكها. ثم خلفه «نبوخذنصر» الذي كان في زمانه دخول فلسطين واستباحة المقدسات وإحراق الهيكل فيما يعرف بالسبي البابلي. ثم توالى ملوك بابل إلى عهد آخرهم «نبونيد».

في عام ٥٣٩ ق.م غزا «قورش» بابل واستطاع أن يخضعها بعد أن استسلم «نبونيد». وبهذا انتهت مملكة البابليين الكلدانية وقامت مملكة الفرس الأخمينية. وكان من أرجى أعمال «قورش» لدى اليهود أن أعادهم إلى الأرض المقدسة، وأذن لهم ببناء الهيكل الثاني. وتوالى ملوك الإمبراطورية الفارسية إلى زمن داريوس الثالث.

في عام ٣٣٢ ق.م استولى «الإسكندر المقدوني» على بيت المقدس، وفي عام ٣٣١ ق.م دُمِّرَ عاصمة الدولة الأخمينية بعد معارك عدة ضد الفرس، وتعقَّبَ داريوس الثالث الذي قتل قبل أن يدركه على يد «بيسوس» الفارسي؛ وهكذا قامت مملكة اليونان. لكنها بعد موت «الإسكندر» انقسمت بين قادته إلى أربعة أقسام: حكم «كاسندر» في مقدونيا، و«ليسيماخوس» في تراقيا، و«سلوقس» في بلاد الرافدين وفارس، و«بطليموس الأول» في بلاد الشام ومصر. ومن

الأخيرين ظهرت سلاطين السلوقين والبطالمة. وكان من أشهر أباطرة السلوقين الإمبراطور «أنطيوخس الرابع» الذي استباح بيت المقدس عام ١٦٧ ق.م كما فصلنا. وقد جعل القديس «هيوليتس» هذا الانقسام تفسيراً لما ورد في الرؤيا من "أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ كَأَجْنِحَةِ الطَّائِرِ ... وَأَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ". وفي السنة ٦٣ ق.م سقطت مملكة السلوقين اليونانية بعد أن هُزمت من قبل الروم، واستولى الإمبراطور الرومي «بومبي» على بيت المقدس.

هنا أود الحديث عن الحيوان الرابع «ملكة الروم» بشيء من التفصيل. تقول الرؤيا: "وَسَهِدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رُؤْيٍ اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَّانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا، ذِي أَشْنَانٍ ضَخْمَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، افْتَرَسَ وَسَحَقَ وَدَاسَ مَا نَبَغَى بِرَجْلَيْهِ. وَكَانَ يَخْتَلِفُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي قَبْلَهُ وَلَهُ عَشْرَةُ قُرُونٍ. وَفِيمَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونِ إِذَا بِقُرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ نَبَتَ بَيْنَهَا، وَافْتَلَعَتْ ثَلَاثَةُ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْقُرْنِ عِيُونٌ كَعِيُونِ الْإِنْسَانِ وَفَمٌ يَنْطِقُ بِعَظَائِمٍ ... وَبَقِيَتْ أَرَاقِبُ الْقُرْنِ مِنْ جَرَاءِ مَا تَقَوَّاهُ بِهِ مِنْ عَظَائِمٍ، حَتَّى قُتِلَ الْحَيَّانُ وَتَلَفَ جِسْمُهُ وَطُرِحَ وَقُوداً لِلنَّارِ."

حاول بعض الشراح أن يجعل من مملكة اليونان المملكة الرابعة، وفي سبيل ذلك قَسَم مملكة الأخمينيين إلى مملكتين: الميديّة والفارسيّة. وهذا من التكلف؛ فإنّ المملكة الميديّة انضوت تحت المملكة الفارسيّة منذ عهد «قورش» فلا يمكن أن تكونا حيوانين مختلفين، إذ إنّ الرّوياً تجعل الممالك الأربع حيوانات متباينة تماماً. ولهذا لما تحدّثت عن انقسام مملكة اليونان لم تجعلها حيوانات وإنما جعلتها أجنحة ورؤوساً للحيوان نفسه.

إنّ المملكة الرابعة هي مملكة الروم كما هو رأي علماء أهل الكتاب في القديم، لكنّه لما ظهر الروم على فلسطين وخربوا المسجد الأقصى بعد زمن المسيح ﷺ أسقط في أيديهم، فالمملكة الأبديّة ظهرت - على حدّ زعمهم - برسالة المسيح ﷺ ولكن أعقبها اضطهاد عظيم للنصارى. لذا ذهب البعض إلى أنّ المملكة الرابعة هي مملكة اليونان والقرن الصغير هو «أنطيوخس الرابع»، في محاولة لجعل المملكة الرابعة سابقة للمملكة الأبديّة التي جاء بها المسيح ﷺ. وسَلَّمَ آخرون بأنّ المملكة الرابعة هي الروم، لكن جعلوا المملكة الأبديّة عند نزول المسيح ﷺ في آخر الزمان.

من سمات المملكة الرابعة أن يخرج منها عشرة قرون أو ملوك كما فرها دانيال. وليس المراد عدد الملوك كلهم، فإن ملوك السلالة السلوقية اليونانية وحدها أكثر من هذا العدد. لكن الرؤيا تتحدث عن ممالك سيطرت على الأرض المقدسة، فناسب أن يكون الملوك ممن ارتبط تاريخهم بالأرض المقدسة. ونحن عندما نقرأ تاريخ الإمبراطورية الرومية نجد أن عشرة من ملوكها عُرفوا باضطهاد النصارى حتى تواطأ مؤرخو النصارى على تسمية حقبتهم بـ «الاضطهادات العشرة». يعدد هذه الاضطهادات القمص أناسيوس فهمي جورج في كتابه «الاستشهاد في فكر الآباء» تحت فصل بعنوان «الاضطهادات العشرة التي عبرت على الكنيسة في العصر الروماني»، فيقول:

١. الاضطهاد الأول تحت حكم الإمبراطور نيرون سنة ٦٤ م.
٢. الاضطهاد الثاني تحت حكم الإمبراطور دوميتيان سنة ٨١ م.
٣. الاضطهاد الثالث الذي بدأ في عصر تراجان سنة ١٠٦ م.
٤. الاضطهاد الرابع تحت حكم مرقس أوريليوس أنطونيوس عان ١٦٦ م.

٥. الاضطهاد الخامس الذي بدأ مع ساويرس عام ١٩٣ م.
٦. الاضطهاد السادس في عهد مكسيميانوس التراقي سنة ٢٣٥ م.
٧. الاضطهاد السابع في عهد ديسيوس سنة ٢٥٠ م.
٨. الاضطهاد الثامن على يد فاليريان الطاغية سنة ٢٥٧ م.
٩. الاضطهاد التاسع في عهد أوريليان سنة ٢٧٤ م.
١٠. الاضطهاد العاشر في عهد دقلديانوس سنة ٢٨٤ م.^(١)

يضيف دانيال بعد حديثه عن الملوك العشرة قائلاً: "وَفِينَا كُنْتُ أَتَأَمَّلُ الْقُرُونِ إِذَا يَقْرُنَ آخَرٌ صَغِيرٌ نَبَتْ بَيْنَهَا، وَافْتَلَعْتُ ثَلَاثَةَ قُرُونٍ مِنْ أَمَامِي".

هذا القرن هو «قسطنطين الكبير» كما أشار إلى ذلك القس الكاثوليكي الأسبق «ديفيد بنجامين كلداني» في كتابه «محمد ﷺ كما

(١) انظر النسخة الإلكترونية للكتاب على هذا الرابط:

<http://www.ixoyc.net/data/Books/36.htm>.

ورد في كتاب اليهود والنصارى: ^(١) "فهذا الملك ظهر في زمن الملوك العشرة قبل هلاك دقلديانوس، فكأنه نبت بينها. وأما الأباطرة الثلاثة الذين تساقطوا أمامه كما تساقطت القرون الثلاثة فهم: منافس الرئيس «مكستوس»، و«مكسيموس دايا»، وأخيراً «السينوس».

فبعد هلاك «قسطنطوس» الأب الذي كان كبير الأباطرة في الغرب (أو «أغسطس» ^(٢) الغرب) عام ٣٠٦م، أصبح ما كان تحت من بريطانيا وبلاد الغال وجنودها تبعاً للابن «قسطنطين»، مما اضطر «جاليريوس» - أغسطس الشرق - إلى منحه لقب «القيصر» مخافة الدخول في حرب أهلية، لكنه شغل بالتمرد الذي قام به «مكستوس بن مكسيميان» إذ لم يعين «قيصرًا» لما نُفي أبوه. ^(٣)

(١) عبد الأحد داود. محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ)، ص ٧٢.

(٢) أغسطس: لقب روماني يطلق على أباطرة الروم ويعني "العظيم" أو "الجليل" أو "المجيب". لكنه في ظل المملكة المتقسمة التي عاش «قسطنطين» في أثنائها أصبح يطلق على كبير الأباطرة في الشرق وكبير الأباطرة في الغرب. وما سواهما من الأباطرة يسمى «قيصرًا».

(3) Jonathan Bardill. Constantine: Divine Emperor of the Christian Golden Age (Cambridge University Press, 2011), p. 83.

استطاع التمرد «مكتيوس» بدعم من الحرس الجمهوري أن يستحوذ على إيطاليا وشمال إفريقيا وأعلن نفسه «أغسطس» الغرب. وبرغم كرهه لقسطنطين تحالف معه ضد «جالريوس»، واستطاع أن يقتل قيصر الغرب «ساويرس». لكن «جالريوس» نصب «ليسينيوس» مكان «ساويرس» ومنحه لقب «أغسطس» الشرق.

في عام ٣٠٧م تزوج قسطنطين من ابنة «مكسيميان» الذي كان قد عُزل مكرهاً عن منصب «أغسطس» الغرب، فأصبح قسطنطين يحكم بوصفه «أغسطس» بناء على الحق الذي منحه إياه «مكسيميان». لكنه فقد هذا الحق عام ٣١٠م لما تمرد عليه «مكسيميان»، فقام قسطنطين ضده وانتهى الأمر بانتحار «مكسيميان» كما يذكر المؤرخون.^(١) لكنه استعاض عن فقدان ذلك الحق بأن زعم أنه من نسل الإمبراطور الرومي «كلوديوس الثاني».

لما هلك «جالريوس» أصبح الجزء الغربي من الإمبراطورية تابعاً لـ «ليسينيوس» و«مكسيمينوس دايا». هنا عقد قسطنطين حلفاً مع «ليسينيوس» للقضاء على أغسطس الغرب «مكتيوس» وكذا

(1) Josef Lössl. The Early Church: History and Memory (Continuum International Publishing Group, 2010), p. 208.

المنافس الشرقي «مكسيمينوس دايا». ولتوثيق الأسرة زوج أخته «ليسينيوس». واستمر هذا الحلف إلى عام ٣١٦ م.^(١)

تمكّن قسطنطين من هزيمة وقتل أغسطس الغرب «مكستوس» في معركة «جر ميلفيو» الشهيرة عام ٣١٢ م. أما «ليسينيوس» فاتجه شرقاً وأخضع المنافس «مكسيمينوس دايا». وهكذا لم يبق من منافسي قسطنطين إلا «ليسينيوس».

بحلول عام ٣١٦ م كان الخلاف قد دبّ بين قسطنطين وليسينيوس، وقامت بينهما حربان استغلّ فيهما قسطنطين اضطهاد «ليسينيوس» للنصارى لتحريض الإمبراطورية ضده. كانت الحرب الأخيرة منهما عام ٣٢٤ م، وانتهت بعزل «ليسينيوس» ومصادرة أملاكه، بعد وساطة من زوجته. لكن قسطنطين لم يطمئن له فقتله عام ٣٢٥ م. وهكذا أصبح القرن الصغير إمبراطوراً بعد أن قلع ثلاثة قرون أمامه هي: «مكستوس» و«مكسيمينوس دايا» و«ليسينيوس».^(٢) وهذا ما عبر عنه النبي دانيال بقوله: "ثُمَّ يَقُومُ بَعْدَهُمْ مَلِكٌ آخَرٌ يَخْتَلِفُ

(1) Timothy D. Barnes. Constantine and Eusebius (Harvard University Press, 1981), p. 62.

(2) المرجع السابق.

عَنِ الْمَلُوكِ السَّالِفِينَ، وَيُخَضِّعُ ثَلَاثَةَ مُلُوكٍ."

قال دانيال بعد ذلك: "وَيُعَيِّرُ الْعَلِيِّ وَيُنْكَلُ بِقُدَيْسِيهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُعَيِّرَ الْأَوْقَاتَ وَالْقَوَائِنَ، فَيَذِلُّ الْقُدَيْسِينَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ وَيَنْصِفُ السَّنَةَ."

وفي ترجمة «فان دايك» العربية: "وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ ضِدَّ الْعَلِيِّ وَيُثَلِّقُ قُدَيْسِي الْعَلِيِّ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ يُعَيِّرُ الْأَوْقَاتَ وَالسَّنَةَ، وَيُسَلِّمُونَ لِيَدِهِ إِلَى زَمَانٍ وَأَزْمَنَةٍ وَيَنْصِفُ زَمَانٍ."

أما الترجمة الحرفية للأصل الآرامي فكما يلي: "ويكلام ضد العلي يتكلم، ولقديسي العلي يثلي، ويسمى لتفسير الأزمنة والشرعية، ويوهبون بيده إلى زمان وأزمنة ونصف زمن." وهي قريبة من الترجمة أعلاه، إلا أنها أدق، وهذا يسهم في تفسير النص كما ينبغي. فقولُه "ويظن أنه يغير" في ترجمة «فان دايك» صحيحة، لكن ترجمة «كتاب الحياة» أنسب للسياق وتشهد لها معاجم الآرامية. وأما "زمان وأزمنة ونصف زمان" فإنها غير محددة بالسنوات بل هي كما أثبتناه.

تنص الفقرة على أن من صفات الملك الأخير «قسطنطين» ما

يلي:

١. يتكلم في الله ﷻ بعظائم.
 ٢. يُبلي ("بلي" بالآرامية) قديسي العلي، أي أن الدين يضمحل تدريجياً في عهده.
 ٣. يسمى لتغير الأزمنة والشرعة.
 ٤. يظل القديسون تحت حكمه "زماناً وأزمنة ونصف زمان".
- فهل كان قسطنطين كما وصف؟ ألم يعتنق النصرانية ويتنصر لها ويقيم المجامع الكنسية؟ لمعرفة الحقيقة أنقل من كتاب «الدم المقدس، الكأس المقدسة»:
- تحول قسطنطين إلى النصرانية لا يبدو نصرانياً على الإطلاق، بل كان وثنياً بلا استحياء... فحسب شاهد العيان الذي كان مرافقاً لجيش قسطنطين حينها، كانت الرؤيا التي رآها لإله الشمس «سول إنفيكتوس» (الشمس التي لا تقهر)... قسطنطين لم يجعل النصرانية الدين الرسمي لروما. بل كان الدين الرسمي لروما في ظل قسطنطين عبادة الشمس الوثنية؛ وعمل قسطنطين طوال حياته باعتباره كاهناً رئيساً لها. لقد سُمي عهده "إمبراطورية الشمس"... إنه لم يُعمد حتى عام

٣٣٧م بعد أن صار طريحاً على فراش الموت، غير مكترث أو عاجزاً عن المقاومة ... كانت نحلة «الشمس التي لا تقهر» في جوهرها اتحادية فمهدت الطريق للاتحادية النصرانية. كما أنها كانت متساهلة في جوانب أخرى، فأدى هذان العاملان إلى تعديل النصرانية، وتسهيل انتشارها. فمثلاً صدر عام ٣٢١م مرسوم يقضي بأن قسطنطين يأمر بإغلاق المحاكم القانونية في "يوم الشمس المبجل" وأن يكون يوم عطلة. بعد أن كان النصارى يعدون سبت اليهود مقدساً ... وفي عام ٣٢٥م دعا إلى عقد مجمع «نيقية» وفيه تم إقرار تاريخ عيد الفصح، وصيغت قوانين لتبرز سلطة الأساقفة ... والأهم من هذا كله أن مجمع نيقية قرر بالتصويت أن عيسى إله وليس بشراً نياً.^(١)

لقد استوفى قسطنطين ثلاثة من الأوصاف المذكورة في النص. فاما كلامه في الله بعظائمه فزعمه أن الشمس إله الكون، وكذا نُصرت له لأهل الشرك في مجمع نيقية الذي أقرت فيه عقيدة النصارى الزاعمة أن

(1) Michael Baigent, et al. Holy Blood, Holy Grail (Dell Publishing, 1983), p. 365-368.

عيسى هو الله أو ابن الله. ويكفي في بيان عظم ما افتروا قول الله ﷻ:
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ
الْمَسِيحُ يَبْنِي لِمَن سَرَّوِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَعَدَّ حَرَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾
[المائدة: ٧٢]. وقوله فيمن نسب إليه الولد: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَصَكَّدُ السَّمَوَاتُ بِتَفْطَرَنَ مِنْهُ وَتَنْشُقُ
الْأَرْضُ وَتُخْرِجُ الْجِبَالُ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ
أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ
عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُم وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فَرَدًّا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

وأما كون القديسين يلبون في زمنه فهو من جراء صهره
عقائد الوثنية الرومية وعقائد النصرانية في قالب واحد هو الكنيسة
الكاثوليكية الرومية التي صارت تضطهد كل من خالفها وإن كان
نصرانياً، وبهذا درست معالم دين المسيح ﷺ. وقل أتباعه، حتى لم يبق
إلا قلة قليلة جداً يوم بعث النبي محمد ﷺ.

وأما تغييره للأزمان فإنه أصدر مرسوماً يقضي بجعل يوم الأحد ("Sun-day" يوم الشمس) يوم عطلة بدل يوم السبت تمجيداً لمعبوده الشمسي. جاء في هذا المرسوم: "في يوم الشمس المجل، على القضاة والشعب الذين يقطنون المدن أن يتخذوا عطلة، وأن تغلق كل المحلات." ^(١) كما حدد في زمانه عيد الفصح الروثي.

بقي قوله "ويوهبون [أو "يسلمون"] بيده إلى زمان وأزمة ونصف زمن". فهو يشير إلى المدة التي يحكم فيها هذا الملك قديسي العلي. وقد اختلف في حسابها على أقوال كثيرة؛ فالقديس «أوغسطين» في كتابه «مدينة الرب» يجعلها "عاماً وعامين ونصف عام، أي ثلاثة أعوام ونصف." ^(٢) وذهب غيره إلى أنها المذكورة في (دانيال ١٢: ٧). وقيل غير ذلك؛ وكله لا يقوم به دليل.

لكن الراجح عندي - والله أعلم بالصواب - أن المراد "مائة ومائتان ونصف المائة"؛ إذ الغالب على استعمال ألفاظ "يوم" و"ساعة" ونحوهما التعبير عن "مائة عام" كما سبق بيانه في غير هذه البشارة، وإنما

(1) Charles B. Arand, et al. Perspectives on the Sabbath: Four Views (B&H Publishing Group, 2011), p. 42.

(2) St. Augustine. The City of God (T. & T. Clark, 1871), vol. II, p. 394.

رَجَّحْتُ هذا التفسير لأسباب منها:

أولاً: أن صفات المملكة الرابعة لا تنطبق على غير الروم، والقرن الصغير لا ينطبق على غير «قسطنطين» كما بينا، فمن زعم أن المراد بمملكة اليونان وإمبراطورها «أنطونيوس الرابع» فقد أبعد النجعة وأغرق في التزع.

ثانياً: إذا اعتبرنا الزمان في الرؤيا «سنة» واحدة كما زعم «أوغسطين»، أي "عاماً وعامين ونصف عام"، كان ذلك أقل بكثير من مدة حكم «أنطيوخس الرابع» (١٧٥-١٦٤ ق.م) أو «قسطنطين» (٣٠٦-٣٣٧م)، فضلاً عن أن يكون نهاية للمملكة اليونانية أو المملكة الرومية.

ولو اعتبرنا الزمان «عقداً» فأولناها "عقداً وعقدين ونصف عقد"، لم يتفق ذلك مع مدة حكم «أنطيوخس»، وكان أقل بقليل من مدة حكم «قسطنطين». لكن قسطنطين لم تنته به مملكة الروم ولم تقم بعده المملكة الأبدية، فلا يمكن أن يكون الحساب بالعقود.

ولو عددنا الزمان الوارد في الرؤيا «قرناً»، لزم أن تكون المدة «قرناً وقرنين ونصف قرن» - أي ثلاثة قرون ونصف القرن، وهي

٣٥٠ عاماً تقريباً - بين قيام قسطنطين وبين ظهور مملكة القديسين في بيت المقدس الذين قال عنهم دانيال "وَتُوهِبُ الْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظْمَةُ الْمَمْلِكَةِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ إِلَى شَعْبٍ قَدِيسٍ الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتاً أَبَدِيّاً، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلَاطِينِ وَيُطِيعُونَهُ."

وهذا الأخير هو الصواب، والله أعلم؛ فإنه برغم ما تعرضت له مملكة الروم من الغزو والتخريب من قِبل قبائل «القوط الغربيين» وقبائل «الوندال» في القرن الخامس الميلادي إلا أن سيطرتها على الأرض المقدسة لم تنقطع، بل أصبح القدس تابعاً للإمبراطورية الشرقية التي تعرف باسم «الإمبراطورية البيزنطية». واستمر حكم الروم للقدس إلى منتصف القرن السابع باستثناء مدة يسيرة سقطت خلالها بيد الفرس الساسانيين ثم استعادت من قبل الروم. فمتى إذن ظهرت المملكة الأبدية؟

لمعرفة ذلك علينا أن نتذكر أن قسطنطين جلس على عرش روما عام ٣٠٦م، وأتانا لو أضفنا إلى هذا التاريخ ثلاثة قرون ونصف القرن فإننا سنجد أنفسنا في منتصف القرن السابع الميلادي. فماذا كان من شأن الأرض المقدسة في منتصف القرن السابع الميلادي؟

جاء في صحيح البخاري: "وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِبِلِيَاءَ
[القدس] وَهَرَقْلُ سُفْقًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هَرَقْلَ حِينَ قَدِمَ
إِبِلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيبَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقِيهِ: قَدْ اسْتَكْرَنَّا
هَيْتَكَ أَقَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هَرَقْلُ حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ
لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْحِتَّانِ
قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَحْتَسِبُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا لَيْسَ يَحْتَسِبُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا
يُهْنِكُ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ.
فَإِنَّمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَنِّي هَرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ
خَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هَرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانظُرُوا أَمْحِثِينَ
هُوَ أَمْ لَا؟ فَانظُرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُحْتَسِبٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ
يَحْتَسِبُونَ. فَقَالَ هَرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هَرَقْلُ إِلَى
صَاحِبِ لَهُ بِرُومِيَّةَ وَكَانَ نَظِيرُهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هَرَقْلُ إِلَى حِمَصَ فَلَمَّ
بِرِمَ حِمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هَرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ
النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هَرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسَكْرَةِ لَهُ بِحِمَصَ ثُمَّ
أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِقَتْ ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ
وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَنْبَتَ مُلْكُكُمْ فَنَبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حِيصَةَ حُمُرِ
الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِقَتْ. فَلَمَّا رَأَى هَرَقْلُ تَفَرُّقَهُمْ

وَأَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ! وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنِفًا أُخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنٍ هَرَ قُلَّ. ^(١)

وقال ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»:

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي وهو بإيلياء وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى عمراب داود! قال لهم: "إنكم لخليق أن تُقتلوا على هذه الكناسة مما امتهتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا". ثم أمروا بإزالتها، فشرعوا في ذلك، فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب. ^(٢)

إن من أعظم أحداث التاريخ في منتصف القرن السابع الميلادي فتح بيت القدس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إكراماً من الله لهذه الأمة العظيمة التي وعد بها في أسفار أهل الكتاب على السنة الأنبياء عليهم السلام. قال ابن كثير في تاريخه:

- (١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٧.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: المكتبة العصرية)، المجلد الثاني، ٥ / ٢٨١.

"إن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا [بيت القدس] يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام أو يذلون الجزية أو يؤذنون بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه. فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فكتب إليه أبو عبيدة بذلك ... فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان ... ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجماع الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. ويقال: إنه لبى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه وفي الثانية بسورة بني إسرائيل. ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال: ضاهيت اليهودية، ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العُمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردهائه وقبائه ونقل المسلمون معه في ذلك ...".^(١)

(١) البداية والنهاية، المجلد الثاني، ٥ / ٢٨١.

أوليس هذا مصداق ما عبر عنه دانيال بقوله: "وَتُوهَبُ الْمَمْلَكَةُ
وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَالِكِ الْقَائِمَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ إِلَى شَعْبٍ قَدِيمٍ
الْعَلِيِّ، فَيَكُونُ مَلَكُوتُ الْعَلِيِّ مَلَكُوتًا أَبَدِيًّا، وَتَعْبُدُهُ جَمِيعُ السَّلَاطِينِ
وَيُطِيعُونَهُ"؟ سؤال أدع الإجابة عنه للقارئ اللبيب الذي أشهده الله
ظهور مملكة القديسين بعد أن تهاوت الممالك الثلاث، فرأى صدق
البشارة رأي العين.

الخاتمة



خامساً ..

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ... يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ؛ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِي فَتَضُرُّوَنِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِئَكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا رَأَوْا ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِئَكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا؛ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِئَكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُذْخِلَ الْبَحْرُ؛ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» [صحيح مسلم]

أيها القارئ المنصف، إن كنت ممن وفقه الله لاتباع نبيه ﷺ فالزم غرضه فقد جاء بالهدى ودين الحق، واحمد الله على نعمة الهداية فإنها لا تعد لها نعمة؛ وإن لم تكن من أتباعه فقد آن أن تنزع عنك لباس الهوى وأن تتجرد للحق؛ فإن الله لا تضره معصيتك، كما لا تنفعه

طاعتك، فهو الغني وأنت الفقير. أما لك في أنبيائك أسوة إذ بشروا
بنبي الإسلام ﷺ؟ فَلِمَ تنكبت صراطهم؟ أم أنك أوتيت من العلم ما
لم يؤتوا! ألا فادرك ركاب المؤمنين قبل أن يترحلوا عنك، فإن السفر
طويل لا يقطعه إلا زاد التقوى. واعلم أن علائق الدنيا متصرمة إلا ما
ابتغى به وجه الله، فلا تكن ممن سعى في الدنيا فلم يتفجع بسعيه، فإن
ذلك من أعظم الحسرات يوم القيامة.

فاللهم لك الحمد أن هديتنا للإسلام، وأرسلت إلينا خير الأنام،
الذي تركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. أشهد
ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.



المراجع



المراجع العربية:

١. ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ).
٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٣. ابن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤ م).
٤. ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٠ هـ).
٥. تفسير القرآن العظيم (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٦ هـ).
٦. ابن هشام، السيرة النبوية.
٧. عبد الأحد داود، محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧ هـ).
٨. عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ).
٩. أناسيوس فهمي جورج، الاستشهاد في فكر الآباء، (www.ixoyc.net/data/Books/36.htm).

المراجع الأجنبية:

10. Albright, William F. From the Stone Age to Christianity: Monotheism and the Historical Process (Doubleday, 1957).
11. Arand, Charles B., et al. Perspectives on the Sabbath: Four Views (B&H Publishing Group, 2011).
12. Augustine, St. The City of God (T. & T. Clark, 1871).
13. Aurelius, Marcus. The Apology of Tertullian, trans. William Reeve & Jeremy Collier (Griffith Farran & co., 1894).
14. Baigent, Michael, et al. Holy Blood, Holy Grail (Dell Publishing, 1983).
15. Bardill, Jonathan. Constantine: Divine Emperor of the Christian Golden Age (Cambridge University Press, 2011).

16. Barnes, Timothy D. Constantine and Eusebius (Harvard University Press, 1981).
17. Barr, James. Comparative Philology and the Text of the Old Testament (Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1987).
18. Beckwith, Roger. Calendar and Chronology (Boston: Brill Academic Publishers, 2001).
19. Box, G. H. The Apocalypse of Abraham (London: The Macmillan Company, 1918).
20. Bush, Rev. George. Illustrations of the Holy Scriptures (Philadelphia: J.B. Lippincott & Co., 1865).
21. Catholic Encyclopedia, <www.newadvent.org>.
22. Charles, R. H. The Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament (Berkeley, CA: The Apocryphile Press, 2004).
23. _____ The Book of Enoch (Forgotten Books: 2007 [First Published in 1917]).

24. _____ The Book of Enoch (Oxford: The Clarendon Press, 1893).
25. Charlesworth, James H. The Old Testament Pseudepigrapha and the New Testament (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 1998).
26. Chazon, Esther G., et al., Things Revealed, ed. (Leiden: Brill, 2004).
27. Cheyne, T. K. & J. Sutherland Black, ed. Encyclopedia Biblica (New York: The Macmillan Company, 1899).
28. Clayton, P. A. Chronicle of the Pharaohs (London: Thames and Hudson Ltd., 1994).
29. Collins, John J. Apocalypticism in the Dead Sea Scrolls (London: Routledge, 1997).
30. _____ Seers, Sibyls and Sages in Hellenistic-Roman Judaism (Boston: Brill Academic Publishers, 2001).

31. Encyclopaedia Britannica.
32. Encyclopedia Judaica (Brill Academic Pub, 1999, CD-ROM Edition).
33. Freedman, David N. ed. The Anchor Bible Dictionary (New York: Doubleday, 1992).
34. Fritzsche, Otto Fridolinus. Libri Veteris Testamenti: Pseudepigraphi Selecti (Lipsiae: F. A. Brockhaus, 1871).
35. Hall, Robert G. "The 'Christian Interpolation' in the Apocalypse of Abraham," in Journal of Biblical Literature (The Society of Biblical Literature, March, 1988).
36. Hays, J. Daneil, et al. Dictionary of Biblical Prophecy and End Times (Grand Rapids: Michigan, Zondervan, 2009).
37. Henry, Matthew. Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One

- Volume. (Peabody : Hendrickson, 1996, c1991).
38. International Standard Bible Encyclopedia, CD version (BibleWorks, LLC, 2003).
39. James, M. R. The Biblical Antiquities of Philo (Forgotten Books, 2007).
40. Jerome, St., Jerome's Commentary on Daniel (Baker Book House, 1977).
41. Singer, Isidore, ed. Jewish Encyclopedia (New York & London: Funk & Wagnalls Company, 1906).
42. Josephus, Flavius. Jewish Antiquities (Wordsworth Editions, 2006).
43. Kulik, Alexander. Retroverting Slavonic Pseudepigrapha (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2004).
44. Laurence, Richrard. The Book of Enoch, the Prophet (Oxford: 1838).
45. Lössl, Josef. The Early Church: History and Mem-

- ory (Continuum International Publishing Group, 2010).
46. Neugebauer, Otto. et al. The Book of Enoch: Or I Enoch (Brill, 1985).
47. New Interpreter's Bible (Nashville: Abingdon Press, 1994).
48. Newton, Thomas. Dissertations on the Prophecies (London: Longman & Company, 1832).
49. NIV Study Bible (Grand Rapids: Zondervan Publishing House, 1995).
50. Roberts, Alexander. The Ante-Nicene Fathers: the Writings of the Fathers Down to A.d. 325 (Cosimo, Inc., 2007).
51. Schaff, Philip. The Nicene and Post-Nicene Fathers Second Series (Oak Harbor : Logos Research Systems, 1997).
52. Vanhoozer, Kevin J., et al. Dictionary for Theologi-

cal Interpretation of the Bible (Baker Academic, 2005).

53. Zuck, Roy B., et al. A Biblical Theology of the Old Testament (Chicago: Moody Press, 1996, c1991).

الفهرس



الصفحة	الموضوع
٧	مقدمة
١٣	الفصل الأول: نبي آخر الزمان ﷺ
١٤	• مدخل
١٧	• رؤيا الأسابيع
١٧	- الكتابات المنحولة
١٨	- سفر أخنوخ ورؤيا الأسابيع
٢٩	- تفسير النص
٦٣	• رؤيا إبراهيم عليه السلام
٦٤	- نص الرؤيا وتفسيره
٩٩	• عهد موسى عليه السلام
١٠٠	- النص وتفسيره
١١١	الفصل الثاني: اسم النبي ﷺ في أسفار أهل الكتاب
١١٣	• «عهد» ﷺ في سفر «هوشع»
١٣١	الفصل الثالث: قبلته ﷺ مثابة للناس
١٣٣	• «بكّة» في سفر المزامير

١٤٣	الفصل الرابع: أمته ﷺ تراث الأمم
١٤٥	• التمثال والحجر
١٥٢	• رؤيا الحيوانات الأربعة
١٧٧	الخاتمة
١٨١	المراجع
١٩١	الفهرس

هذا الكتاب

«الدنيا مظلمة إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، ولم يُنعم الله على أهل الأرض نعمةً أعظم من بعثة نبيِّنا ﷺ، وضرورة البشر وحاجتهم لهذه البعثة أعظم الضرورات والحاجات، وما كان الناس إليه أحوج فادلته أكثر وأظهر؛ ومن ذلك دلائل نبوة محمد ﷺ، فهي لا تكاد تحصى.

ويُعَدُّ كتاب «يُجدونه مكتوباً عندهم» إضافةً مهمةً في إيراد وإيضاح دلائل على النبوة المحمدية من خلال الكتب والأسفار القديمة؛ فهو دراسة عميقة، وقراءة فاحصة، وموازنات دقيقة، وجدير بأن يترجم لأشهر اللغات العالمية. 66

د. عبد العزيز بن محمد آل صبد اللطيف

مجلد
البيان



مكتبة مجلّد البيان - ص.ب. ٢٦٩٧٠ الرياض ١١٤٩٦

www.albayan.co.uk

sales@albayan.co.uk

هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٢١٦٩٦٨